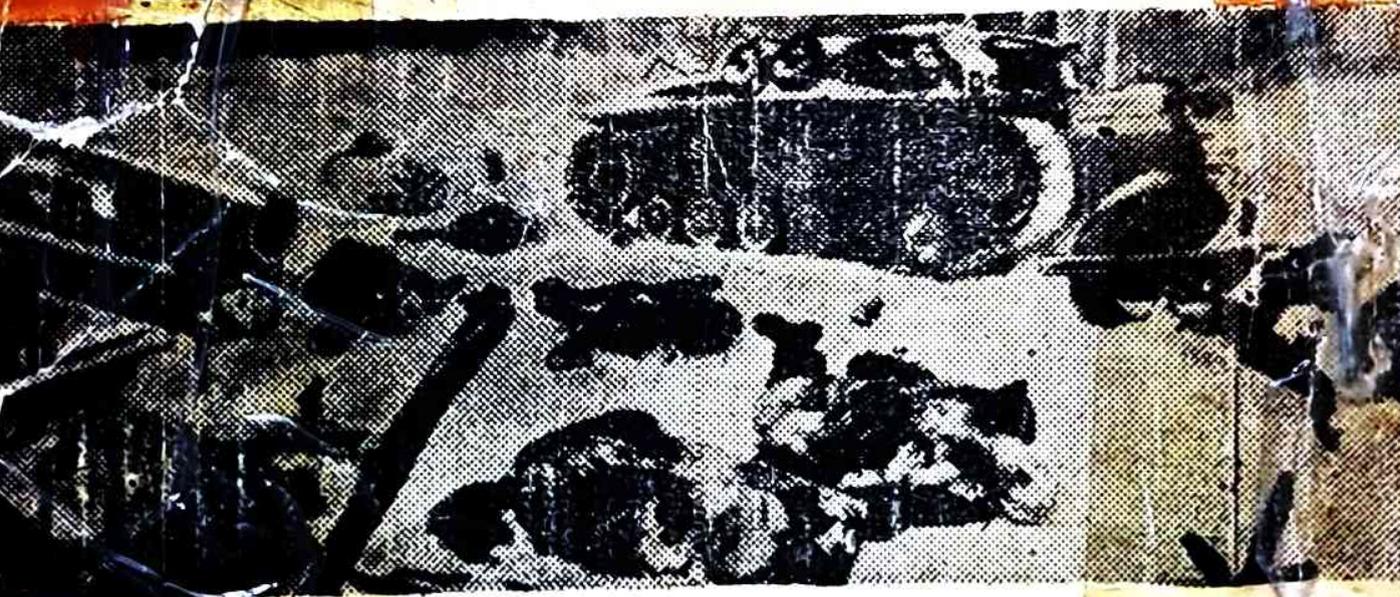


الجنرال كورنيل زابنيسار
رئيس اركان الجيش الاملائي

١٩٥٨

معركة سنالينغراد

١٩٤٣ - ١٩٤٢



ترجمتها
الغيب الركن
اسامه محمود المهدى

١٩٦٥

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
فسي 03 / جمادى الأولى / 1445 هـ
الموافق 07 / 11 / 2023 م

سرمد حاتم شكر السامرائي

سرمد حاتم شكر

المجراال كورل زائللر
ونهل اركان المللل الالماني

مركة سللنلرادل

١٩٤٣ — ١٩٤٢

لرلرل

النلب الركن

اسامه عمود المهلل

طبع بموافقة رئاسة اركان الجيش حسب كتاب مديرية التدريب
العسكري المرقم ت / ش ٢ / بحوث / ق ٢ / ٢١ / ٩٣٣٢٩٨
والمؤرخ ٢٢ / ك / ١٩٦٤

حقوق الطبع محفوظة

Handwritten text, likely bleed-through from the reverse side of the page. The text is extremely faint and illegible.

Handwritten text, possibly a signature or a specific note, located in the middle of the page. The text is very faint and difficult to decipher.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة المترجم

أكد الكثير من القادة العسكريين على أهمية دراسة التاريخ العسكري وتقصي أخبار المعارك وقادتها العظام . وقد قال نابليون « ان لدراسة التاريخ العسكري أهمية عظيمة واثار كبير في خلق الكفاءة العسكرية » كما قال في هذا المضمار أيضاً « لا يمكن تعلم فنون الحرب بغير التجارب ودراسة تاريخ الحرب ومعارك القادة العظام » .

ان دراسة تاريخ المعارك تؤدي الى معرفة النواقص والاطفاء التي حدثت اثناء الحركات الفعلية والى كيفية تلافيها بعمل هيآت الركن والقادة الدقيق والمتقن .

وادراسة تاريخ حياة ومذكرات القادة البارزين وتحليل اسباب نجاحهم او فشامهم واساليبهم التي اتبعوها لتحقيق ذلك النجاح او النواحي التي ادت بهم الى الفشل أهمية عظيمة للتوصل الى اسس القيادة الناجحة ، ولا غرو ان الدراسة السطحية والناقصة للظروف التي احاطت بالقادة ودفعتهم لاتخاذ قراراتهم لا تنفي لمعرفة الاسباب الصحيحة التي ادت الى الفشل او النجاح انما يقتضي ان تكون دراستنا

عميقة وشاملة وسليمة لتلك الظروف وبعيدة عن كل ما يحرفها عن واقعها وحققتها.

كذلك تعطينا دراسة التاريخ العسكري الدقيقة الفكرة الصادقة عن الانفعالات النفسية للقائد او الجندي الفرد وكيفية استجابته للمؤثرات الخارجية كالخوف والذعر والقلق النفسي فناخذ ما يفيد ونترك ما لا يفيد .

لقد كان هتلر زعيم المانيا النازية في مستوى القائد العسكري والسياسي المستبد الصلب العود ، وقد تحدث عنه الجنرال كورت زائتسلر رئيس اركان الجيش الالماني بين عام ١٩٤٢ وعام ١٩٤٣ - في كتابه عن معركة ستالينغراد قاعطانا أمثلة حية للنفس البشرية الواقعة تحت تأثيرات سياسية وعسكرية متشابهة وقدم لنا مذكرات مفصلة ، بصفته رئيس اركان الجيش الالماني ابان المعركة المذكورة ، عن العوامل الرئيسية التي ادت الى فشل الالمان في تلك المعركة الحاسمة والتي تعتبر بحق من المعارك المعدودة التي حولت كفة النصر من المحور الى الحلفاء في الحرب العالمية الثانية .

والكتاب لا يتطرق كثيراً عن وجهة نظر الروس الطرف الثاني في المعركة الا انه يبين بتفصيل واف أثر القائد الاعلى للجيش في فشل المعركة او نجاحها ومدى تأثير هيئة الركن على القائد العسكري المستبد (الدكتاتور) في وضع خطة المعركة وتنفيذها وادارتها . ودراسة هذا الكتاب تعين كثيراً على تفهم بعض الحقائق التي ظهرت في هذه المعركة وتبرز الدروس القيمة الجديرة بالاعتبار .

النقيب الركن

اسامه محمود المهدي

أهداف هتلر

كانت أهداف هتلر الأساسية من تعرض صيف سنة ١٩٤٢ هي احتلال ستالينغراد والقوقاز .

وعند النظر الى هذه الاهداف للوهلة الاولى نرى انها جديدة بالاعجاب الكثير فلو استطاع الجيش الالماني ان يقطع خط مواصلات روسيا الرئيسي الممتد من الشمال الى الجنوب بعبور نهر الفولغا في منطقة ستالينغراد وان يملك ناصية حقول النفط في القوقاز وأطرافها وينضعها للمجهود الحربي الالماني في الوقت نفسه لتبدل حينئذ الموقف كله في الشرق ولتأثرت كثيراً نتائج الحرب في المستقبل .

وهذا ما كان حقاً يدور في خلد هتلر الذي لم تنته خطته المتطرفة عند هذا الحد فحسب ، بل تجاوز في نواياه بإرسال ارتال سيارة سريعة عبر القوقاز أو حوالها الى الهند ، وكل هذا جميل ولكن هناك عوامل لا بد من مراعاتها .

فالاهداف العسكرية يجب ان تتناسب دائما مع القوات والوسائل الاخرى المتيسرة لتحقيقها ، فمن الوجهة التعبوية البحتة لا يكفي مجرد وصول القوة الى الهدف فقط بل المهم ترصينها عليه ايضاً وما لم يتم ذلك ستعرض

القوات المشتركة نفسها للخطر وتكون الحركات التعرضية مهما كان الهدف مغرباً
حاملة جرثومة الفشل منذ البداية ان لم يكن الاندحار نفسه .

كان الهدف الاول ستالينغراد يقع على بعد ثلثمائة ميل تقريباً ما وراء
خط الجبهة المتكون في ربيع سنة ١٩٤٢ ، أما القوقاز فكانت أبعد من ذلك
بأكثر من ثلثمائة وخمسين ميلاً ، كما لم تكن هذه الاهداف قريبة من بعضها
والمسافة بينها أكثر من ثلثمائة وخمسين ميلاً ، وهذا التباعد فيما بينها يحتم
فصل الحركات في معركتهما عن بعضهما .

والسؤال الذي يبرز الآن هو هل تيسر القوات الكافية في الوقت الحاضر
لاحتلال مثل هذين الهدفين البعيدين كثيراً والمتباعدين عن بعضهما ؟ والجواب
عن هذا السؤال بسيط وهو النفي . ثم هل من الممكن توفير مثل هذه القوات ؟ .
لقد عرض هذا السؤال على هتلر من قبل مستشاريه العسكريين الا ان القرار
الذي اتخذه هتلر والمقترح عليه من قبل الجنرال يودل كما قيل كان يتضمن
طلب فرق جديدة من حلفاء المانيا وبهذا تأليف مجموعة قوات للجبهة
الشرقية تتناسب وأهداف هتلر للحملة القادمة ، وكان هذا القرار هو القرار
القاتل الاول لتلك السنة .

وقد أدرك القادة والجنود الالمان الذين حاربوا في الجبهة الشرقية
في عام ١٩٤١ ان قطعات حليفات المانيا كانت غير قادرة على تحمل احوال
الحرب في ذلك الميدان القاسي زد على ذلك ان القطعات غير الالمانية
المشتركة في الحرب عام ١٩٤١ قد تألفت بالدرجة الاولى من مفارز صغيرة

هي وحدات منتخبة سبق لها عادة القتال في صفوف التشكيلات الالمانية غير أنه في عام ١٩٤٢ جمع هؤلاء الجنود غير الالمان في فيالق وحتى جيوش متجانسة من قومية واحدة ليقاتلوا بعيداً عن أوطانهم . ولا شك ان فشل هذه التنظيمات سيعرض كافة جبهتنا الشرقية للخطر . وكان هذا واضحاً الا ان هتلر الذي كان مفتوناً بالاعداد لم يكن يرى الا الزيادة العظيمة في عدد الفرق التي ظهرت على خرائط ضباط ركنه . واتقد ادرك حتماً سلفى براسة اركان الجيش الجنرال هالدر الاخطار المحدقة بهذه الخطة وبينها لهتلر بتكرار وحماس ولكنه اعرض عنها واهملها .

الحركات الاولى

لقد شن التعرض في نهاية حزيران وشرعت به الفرق الالمانية مكرمة رأس رمح الهجوم تعقبها قطعات حايفاتنا في الخلف وقد اشترك فيه جعفلا جيش - ججنل الجيش (ب) بقيادة المشير فون بوخ ثم المشير فون فاينز فيما بعد في اليسار وججنل الجيش (أ) بقيادة المشير لست في اليمين كما انتقل المقر الاعلى لهتلر ونقر القيادة العليا للجيش في بروسيا الشرقية واشغلا مواقع في فينتسا وضواحيها في اوكرانيا وبدأت الحملة بسلسلة انتصارات فتم في تموز احتلال كراسنودار على نهر كوبان وفورد شيلوفسك القريبة من سفوح جبال القوقاز واخذنا عدداً كبيراً من الاسرى وارتفع في نهاية آب العلم الالمانى يرفرف على قمة البروس اعلى نقطة في القوقاز كما وصلت مقدمتنا في الوقت نفسه الى نهر الفولغا بالقرب من ستالينغراد وظهر عندئذ وكان اهدافنا الرئيسية قد تم تأمينها ولكن سرعان ما تبدد هذا المظهر الخادع وتوقف التقدم ولم يتم اي نجاح جديد في القوقاز كما بادر الروس بابداء مقاومة مستميتة في ستالينغراد .

ازمة القيادة العليا

كانت النتيجة الاولى لهذا التوقف في تقدمنا هي تنحية الفيلد مارشال لست عن قيادته دون ان يعين خلفا له في قيادة جحفل الجيش (أ) التي بقت تدار وكالة لفترة من الزمن كما نحى في اواخر ايلول الجنرال هالدر من منصبه ، رأسه اركان الجيش وكنت في هذا الوقت رئيساً لاركان جحفل جيش وقد استدعيت فجأة الى القيادة العليا دون اخباري عما كان يجري هناك فسافرت بالطائرة وحالما وصلت قابلني هتلر كعادته بخطاب استغرق عدة ساعات دون ان استطع مقاطعته عبر فيه عن تبرمه الشديد بسير الحوادث في الجبهة الشرقية وخاصة بما يتعلق بفشل التعرض دون ان ينتفت الى الاسباب الحقيقية لهذا الفشل وهي الاختيار الخاطئ للاهداف وعدم الالتمام الى حقيقة نقص الوسائل المتيسرة لتأمين الغايات المرجوة واتجاه التفرع وتوجه اللوم الى القطعات وقادتها ، وقد اشاد بقساوة غريبة الى ما وصفه بعدم كفاءة الفيلد مارشال لست والجنرال هالدر وقطع خطابه فجأة وانهاه بقوله :

ولهذا قررت تعيينك رئيساً لاركان الجيش متبعاً اسلوبه الاعتيادي كلما أخطأ بتوجيه اللوم الى غيره وتنحيته عن منصبه وتعيين آخر محله ، ولم يكن هتلر يستلخص النتائج الصحيحة بعد فشل خطته ولو فعل ذلك لتمكن على الاقل من تقليل تأثير أخطائه على المستقبل دون ان يستطع تصحيح ما مضى بطبيعة الحال وقد استلمت مهام منصبى كرئيس أركان الجيش وادركت على التو ذلك الجو الغريب السائد في مقر القيادة العليا

نتيجة لفشل التعرض ولم يكن هذا الجو لضابط مثل قادم من هيئة ركن حركات
عاملة في الميدان مستهجن فحسب بل وغير قابل التصديق مطلقاً ، فهو مزيج من عدم
الثقة والغضب ولم يكن احد يثق به صاحبه كما كان هتلر نفسه في ريبة من الجميع ،
وقد ظهر الكثيرون من الضباط الذين كانوا يعتقدون بانهم من المسخوط عليهم
بمظهر اليأس والقنوط ولم يكن لست وهالدر وحدهما موضع حقد هتلر بل ان
يودل ايضاً لفه سحابة ، وكان غيظ هتلر موجهاً الى جيوش الشرق عامة والى
قاداتها وقادة جحافل الجيوش هناك على وجه الخصوص . وأخذ هتلر يعيش عيشة
انعزالية تلفه شكوكه ولم يعد يصافح جنرالاً او يتناول طعامه مع اعضاء مقره
وهيئة ركنه الخاصة بل فضل تناول الطعام وحيداً وكان عندما يحضر مؤتمرات
هيأت الركن ينحني بفتور ويستمع الى تقارير مستشاريه الايجازية بعبوس شديد
ثم ينحني انحادة فائرة اخرى أمام الضباط المجتمعين ويغادر الغرفة .

كان هالدر وليست كبشي الفداء لهتلر أثر فشل التعرض وكانت النعمة
الوقية التي لحقت بيودل كما سمعتها في حينه أكثر تعقيداً نوعاً ما ، فقد كان
يودل رئيساً لاركان قيادة القوات المسلحة وهو بذلك أقرب المستشارين
العسكريين الى هتلر وكان قد اوفده مبعوثاً شخصياً عنه لشحذ هم القادة
والقطعات معاً لاستئناف حالة التعرض ثانية ليتسنى على الاقل عبور جبال القوقاز
ولكن عند وصول يودل الى هناك تأيد لديه في التو بان القطعات منهمكة تماماً
وان أي تقدم آخر هو خارج الصدد ، ثم عاد يودل الى مقر القيادة العليا وعبر
عن هذا الرأي لهتلر الذي لم يتلناه برحابة صدر بل صرخ بيودل قائلاً - الاوامر
الصادرة اليك هي حث القادة والقطعات للتقدم الى الامام وليس لتخبرني بان

ذلك مستحيل - وقارن هتلر صراحة تقرير يودل عن الاوضاع الراهنة في القوقاز بتقرير هنتش الشهير في الحرب العالمية الاولى (العقيد هنتش مبعوث القيادة الالمانية العليا في عام ١٩١٣ الذي قدم تقريراً عن الجبهة الغربية بنصوص أدت الى الانسحاب وكان قد وقع اللوم عليه في اندحار الالمان في معركة المارن) وعلى ذلك حاقت النقمة بيودل بصورة تامة وأصبح تعيين خلفاً له متوقفاً جداً والمرشح لذلك هو الجنرال باولس قائد الجيش السادس .

في مثل هذا الجو الذي ساد مقر القيادة العليا كان من المستحيل اجراء أي مناقشة صريحة وموضوعية للموقف وما كان لهذا الوضع الا نتيجة واحدة وهي أن ادارة حركاتنا العسكرية ستعاني الكثير من المتاعب وسيتم العبء على القطعات الباسلة في الميدان . وهكذا كانت انطباعاتي الاولى عندما تزلت مهام منصبى الجديد كرئيس لاركان الجيش وهي غير مطمئة قطعاً .

الموقف في الجبهة الشرقية

اذا كان الجو في مقر القيادة سيئاً فان الموقف في الجبهة الشرقية على العموم لم يكن يبعث على الارتياح مطلقاً ، فجنحلا الجيش الشماليان ، جنحفل جيش الشمال بقيادة الفيلد مارشال فون كوخلير وجنحفل جيش المركز بقيادة الفيلد مارشال فون كلوك لم يكونا مشتركين بصورة مباشرة في تعرضنا الصيفي وكان قطاعاهما هادئين نسبياً في ذلك الوقت ولكن دلائل المستقبل

لاتبشر بخير وذلك ناتج بالدرجة الاولى من عدم تيسر احتياط كبير في مناطقيهما الخلفية كما كانت هناك عدة نقاط خطر كامنه على طول هذا القسم من الجبهة وخاصة بحيرة (لادوكا) شمال شرق لينغراد وجيب ديمنسك الذي كانت فيه قوة المانية مطوقه تقريبا الا من وجود ممر ضيق واحد لازال مفتوحاً .

اما جحفا الجيش الاخران المشتركان في التعرض الصيفي فقد كانت تنتظرهما ازماتان تبيلوران للمستقبل وكانت الازمة الاولى تخص جناح جحفل الجيش (ب) الایسر الطويل الذي كان بقيادة الفيلد مارشال فايخز شمال غرب ستالينغراد وكانت تمسك هذا الجناح فرق غير المانية كلياً وكانت الازمة الثانية ناتجة من وجود الفسحة الكبيرة بين القوقاز وستالينغراد .

بالرغم من استطاعة قطعائنا السيارة التجول في هذه المنطقة الشاسعة من الاراضي السهلة الجرداء الا انها لم تستطع ان تبني خطاً دفاعياً . لقد كانت جيوشنا الشرقية في حالة سيئه دون ذنب اقترفته اذ كانت تقاتل بمهارة وكانت لاتزال سائره على هذا المنوال واعمالها كانت جديرة بالاعجاب اذا ما ادركنا انها كانت في قتال مستمر وبدون انقطاع غالباً لما يقارب الثمانية عشر شهراً مع عدو يفوقها عدداً على الاكثر دائماً، مما ادى الى اصابة تجهيزاتهم من جراء ذلك باضرار كبيرة وكانت الجيوش نفسها مجهده ومتعبة والوحدات لم تتلق التعويض الكافي وكانت ناقصة الملاك في الرجال والسلاح وفي مثل حالتهم هذه طلب منهم القيام بواجب يكاد يكون فوق طاقة البشر حتى في الظروف الملائمة .

كان هذا هو الموقف في الجبهة الشرقية في نهاية ايلول عام ١٩٤٢
ومن الطبيعي ان يكون هتلر على اطلاع تام دائماً ولكن اثر ان يتجاهل
الصعوبات الجمة التي كانت تواجه قطعاتنا الا انه الح في اصرار على ان
يبدل جحفل الجيش المهاجم اقصى الجهود الممكنة لمواصلة تقدمهما بالرغم من
كونهما كانا منهوكي القوى وقد كان مصمماً على احتلال بقية ستالينغراد وحقول
نفت القوقاز والقوقاز نفسها ولما كان التعرض قد توقف في كافة النقاط
فقد قرر هتلر ان يتحرك التعرض ثانية على شكل هجمات بمقياس صغير
ففي ستالينغراد أمر بالقيام بسلسلة من هجمات قطعات الصاعقة لغرض
احتلال المدينة مجموعة فمجموعة وحتى بناية بعد بناية وكذلك في القوقاز
اوعز القيام بهجمات تعبوية الواحدة تلو الاخرى وفي الحقيقة انه كان يرغب
ان يستمر التعرض بصورة مصغرة وبأي ثمن .

وبصفتي رئيساً لاركان الجيش قدمت خلال الاسابيع الاولى من تولي
منصبي بدراسة كامئة للموقف في الجبهة الشرقية والحالة قطعاتنا والقوات
المتيسرة للعدو ثم طلبت من هتلر ان يسمح لي بان اقدم تقريراً مطولاً
مفصلاً وسرياً للغاية فوافق على ذلك .

تقرير عن الموقف

ابتدأت تقريري بوصف دقيق وموضوعي عن الموقف في الجبهة الشرقية
كما ينظر باعين المانية وتلاه وصف مشابه من وجهة نظر العدو واعتمد هذا
الاخير على الاعمال الدقيقة المفصلة لقسم الاستخبارات القيادة العليا للجيش

المسمى (جيوش اجنبية - شرق).

وتناول القسم الثاني من تقريرى بحث الاستنتاجات التى يجب استحصاليها من الموقف الالماني والروسى على التوالى مع التطورات اللاحقة التى يجب توقعها خلال الاسابيع او الاشهر القليلة القادمة وانهى تقريرى بخمسة فروض معينة .

كان القسم الاول من تقريرى معبراً عنه بتعايرى يمكن ادراكها من قبل غير الخبير كما كان مسندا بالكثير من الاحصائيات والمخططات البيانية والخرائط ، فمثلا اعطيت خسائر الالمان وحلفائهم من الجنود والاسلحة الثقيلة ومدافع متناومة الدبابات وقطع المدفعية . . . الخ باعداد مضبوطة لتعمل الواحد فى مختلف قطاعات الجبهة مع مايفابلها من الارقام من القوات الروسية المشتركة وهذا ما اذهر تفوق العدو العددي باسلوب مؤثر واخاذ حقا كما واسندت هذه الصورة باحصائيات تخص احتياطات الروس من الذرة البشرية والتجهيزات والاسلحة والعتاد وارقام الانتاج الشهري لذخائر العدو الحربية ومعامل دباباته والسييل المتدفق من المساعدات العسكرية الواردة اليه من الولايات المتحدة .

كانت مثل هذه المعلومات ضرورية لمن يريد ان يكون حكما صادقا عن قوته وقوة عدوه وبذلك يتمكن من تدير التطورات المحتملة فى المستقبل القريب ، وبصفتى رئيسا لاركان الجيش نجحت فى جعل هذه الحقائق واضحة بدون جدل ويعتبر هذا بحد ذاته فوزا عند اخذ طبيعة هتلر بنظر الاعتبار ، هذا بالاضافة الى انها المرة الاولى التى لم يقاطعنى فيها هتلر كما كانت عادته

عندما لم تسره الحقائق التي سردها له او كما يسميها بالاندحار وهو ينهي
اعتياديا مثل هذا التقرير الواقعي بالايجاز للمتكلم بالتوقف اوانه ينهي بثورة
عارمة من الغضب وعلى كل حال فقد كان هتلر مغرماً بالارقام والاحصائيات
ولاشك في ان العدد الكبير الذي قدمته منها لاسناد مناقشاتي لا بد وان اثر عليه
كما فعلت مخططاتي السهلة الادراك من قبل او لربما لم يرد هتلر ان يغضب
الرجل الجديد في مرحلة مبكرة من علاقتنا ، ومهما يكن الامر فقد كنت
مقتعاً بانتي ابتدأت عملي كرئيس لاركان الجيش بان اخبرت هتلر بالحقيقة
واضحة وغير مطلية .

الى هنا وسار كل شيء كما يرام ولكن جاء الان اصعب قسم من تقرير
وهو الطلبات الخمسة او الفروض التي نجمت من تقرير رئاسة اركان الجيش
هذا والتي وضعتها كما يلي :

١ - نتيجة للتعرض الصيفي اصبح الاقليم المفروض احتلاله في الشرق
لا يتناسب وحجم الجيش القائم باحتلاله او بعبارة اخرى فقد كان لدينا جنود
قليلون لاراضي كثيرة ومالم يجري تعديل هذا الوضع فلا مناص من
وقوع كارثة .

٢ - لقد كان اخطر قطاع في الجهة الشرقية من دون شك هو الجناح
الطويل المسوك بقطعات قليلة والممتد من ستالينغراد حتى الحدود اليمنى لجحفل
المركز وبالاضافة الى ذلك فان هذا القطاع كان ممسوكا من قبل قطعاتنا
الضعيفة والتي لا يعتمد عليها كثيرا ومن الرومانين والايطاليين والهنغاريين وقد
كونت هذه الحالة خطراً عظيماً يقتضي استئصاله .

٣ — ان تدفق الرجال والتجهيزات والاسلحة والعتاد الى الجهة الشرقية كان غير كافي تماما ولقد زادت الخسائر على التعويضات في كل شهر ولا بد ان تكون لهذا نتائج خطيرة .

٤ — لقد كان الروس احسن تدريبا واحسن قيادة في سنة ١٩٤٢ عما كانوا عليه في سنة ١٩٤١ ، ويجب ان تدرك هذه الحقيقة وتتوخد بنظر الاعتبار كما صبح الحذر الشديد من جانبنا ضروريا .

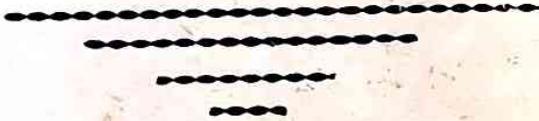
٥ — اما المطلب الخامس فقد كان مفصلا ويخص الاستخدام الاحسن للقطعات والاستنادة الاكثر مهارة للسكك الحديدية لتؤمن قابلية حركة اوسع كما كان يخص امورا فنية اخرى بوجه عام .

من الغريب ان هتلر استمع الى هذه الاستنتاجات والطلبات دون ان يثور وفي الحتمية فقد بدا وكأنه قد تأثر بها وعندما انتهت تقريرتي ابتم وقال انك متشائم جدا ، لند مررنا هنا في الجهة الشرقية بفترات اسوء من هذه قبل ان تلتحق بنا ومع ذلك فقد عشنا ، وسوف نتغلب على صعوباتنا الحاضرة ايضا اما بالنسبة للاستنتاجات النهائية فقد بذل جهده للتقليل من شأنها باسلوب تقليدي فلقد قال مثلا من الطبيعي ان الجنود الالمان يجابهون في بعض نقاط الجهة جنوداً اكثر منهم عدداً ولكنهم متفوقون كثيراً على العدو بالتنوع كما ان اسلحتنا احسن ايضاً وفي المستقبل القريب ستكون لدينا اسلحة جديدة ستكون احسن مما هي عليه الان بكثير وهكذا صرف هتلر النظر عن تقريرتي واعتبر الطلبات التي قدمتها قد تمت تسويتها ،

تعنيت بهنق رئيساً لاركان الجيش لو ان قسما مما قلته يرسخ في عقله او

انه يعمن النظر في بعض ملحوظاتي وان ينتج تقريرى بعد كل هذا
بعض الثمر ،

وكنت قد تعلمت قبل الان بانه لغرض الحصول على موافقة هتلر على
نقطة ماكان على من الضروري اعادتها عليه مرة بعد اخرى وقد قمت بهذا
خلال الاسابيع التى تلت معيداً بصورة خاصة طلباتي الخمسة . ولكن ترى
ماذا تم فى الواقع عمله خلال الاسابيع التى تبقت لنا قبل هجوم الروس
المقابل الكبير ؟



الاستحضارات الالمانية

لقد تركت نقاطي الخمسة لدى هتلر اثرا اكبر مما كنت أتوقعه واكثر مما كان يسمح به هو نفسه وخاصة وانه أصبح الان عالما بالخطر الناجم بسبب الجناح الطويل بين ستالينغراد وجحفل جيش المركز وكان هذا دايلا على انه كان بإمكان مستشاري هتلر التأثير عيه حول نقطة يريدونها اذا ما كررت باستمرار كاف وتمسك المستشار باصرار بفكرته الاصلية ، وباتباعي لهذا النهج نجحت في جعل هتلر عالما بالخطر الذي يهدد الجناح الايسر بجحفل الجيش (ب) ولطالما اصبح عالما بالخطر فان هناك ثلاث مناهج ممكنة لمعالجة الموقف .

المنهج الاول الذي قد يكون هو المنهج الاساس والاكثر تأثيرا هو سحب جبهه ستالينغراد الى الغرب وبذلك تقصير الجناح وحتى ابعاء الخطر عنه وتحرير عدة فرق يمكن استخدامها في محلات أخرى ونكون بذلك قد كونا جبهة جديدة قوية وفي الوقت نفسه نكون قد اوجدنا الاحتياط اللازم على شكل كتلة لها قابلية المناورة توضع خلف الجبهة وكانت مزايا هذا الحل الذي كان احسن الحلول الممكنة بدون شك واضحة للجميع ولكنه يجر الى التخلي عن ستالينغراد أي التخلي عن المكسب الرئيسي لتعرضنا الصيفي او بتعبير آخر انه يعني تقويم متأخر لاخطاء القيادة العليا الاولى عند تخطيطها ذلك التعرض لن يحظ هذا الحل قبولا لدى هتلر كليا والواقع ان هتلر سيفقد صوابه حتى لو أشير لمثل هذا المشروع بحضوره اذ انه من حيث المبدأ أو بصرف

انظر عن الظروف السائدة فانه يرفض دائما السماح بالتخلي عن أي اقليم
مهما كانت الاسباب وكان هذا المبدأ ان صح تسميته كذلك قد تعزز بشده
في موضوع ستالينغراد في الخطاب الذي القاه هتلر على الشعب الالماني في
تشرين الاول من تلك السنة حيث قال [يبقى الجندي الالماني حيث هو في
أي موضع يضع قدمه فيه] ويمكنكم أن تطمئنوا بانه لن يستطيع احد طردنا
من ستالينغراد ولتد زادت هذه التفوهات من عناده الذاتي واصبح عنده
الاحتفاظ بستاينغراد مسألة كرامة شخصية وعلى ذلك لم يكن في الامكان
تبديل رأيه .

اما المنهج الثاني في معالجة الموقف فلم يكن في الحقيقة الا تحويراً
للمنهج الاول اذ انه يعنى الاحتفاظ بمركزنا في ستالينغراد في ذلك الوقت
واعداد الاستحضارات اللازمة للانسحاب في موعد متأخر جدا قبل الهجوم
الروسي المتبادل مباشرة ، كان هذا الحل حلا وسطا ويحتوي على كافة محاذير
الحلول الوسط وكانت نقطة الضعف الكبيرة فيه هي هل يسمح المناخ الروسي
القيام بمثل هذا الانسحاب عند حلول اللحظة الحاسمة ؟ لقد جعل هذا
الساؤل الحل التالى خطرا ، وعلى أي حال رفض هتلر قبوله أو اعطاء أي اوامر
بخصوصه ولكن الانطباع الذي أبداه هو عدم ممانعته له وذلك لسبب بسيط
هو انه وفر لنفسه مجالا للمماطلة والتسويف .

لم يكن هتلر يعطي قرارا مخالف ان كان يستطيع تأجيله بطريقه مالى
وقت اخر وكان يشيد بتردده التقليدي ويشير اليه بانه [سياسة ترك الموقف
يتبلرر] .

والمنهج الثالث في معالجة الازمة المتوقعة كان ينطوي على سحب الجيوش غير الالمانية التي لايعتمد عليها والتي تمسك الان التماطع المهدد وتبديلها بفرق المانية جيدة وحسنة التجهيز ومسندة باحتياط كاف ولاتخاذ هذا الحل كانت القيادة العليا الالمانية تنمقر تماما الى الاحتياط الضروري في القطعات والتجهيزات كذلك لاجل استبدال الهنغاريين وغيرهم بالالمان كان من الضروري أخذ الاخيرين من الفواطع الاخرى من الجبهة الشرقية وكان تتمثل القطعات الجانبية من الصعوبة بمكان في كافة الاوقات وما يزيد في الطين بله سوء المواصلات الروسية كثيرا وكان هناك خطر حقيقي عظيم هو قيام الروس بتعرضهم للمقابل المتزقع الان وضربهم الجناح المهدد في نفس الرقت الذي تجري فيه التغييرات وعلى ذلك صرف النظر عن هذا الحل ايضا .

وهكذا لم ينتخب أي حل من الحلول الرئيسية الثلاث للمشكلة فاهمل اثنان نظراً لعناد هتلر واهمل الثالث بسبب الظروف السائدة ولم يبق الا مايمكن وصفه بالوسائل الثانوية وكانت هيئة الاركان العامة تعلم جيدا بان هذه الوسائل لايمكن أن تؤثر على الموقف بصورة جوهرية وفي الواقع كان النقاش يدور حول وجود أي جدوى على الاطلاق من تلك الوسائل ومع ذلك فما كان علينا الا أن نبذل ما في وسعنا حتى ولو لكسب الوقت لحين هجوم العدو وبذلك تسهيل القيام نهائيا بتطبيق المنهج الثاني الرئيسي ولربما عندما يكون الخطر حقيقيا وليس مجرد افتراض كما هو الان قد يدرك هتلر الحقيقة ويامر باتخاذ هذا الحل الرئيسي .

وكان من جملة هذه الوسائل الثانوية التي استخدمت أتذ مايلي :

١- تم ايجاد احتياط صغير خلف الجناح المهدد تالف من فيلق الصاعقة
المكون من فرقتين مدرعتين احدهما المانية والاخرى رومانية وكان هذا الفيلق
ضعيفا جدا من كافة الوجوه .

٢- تم توزيع وحدات المانية صغيرة كقواج مقاومة الدبابات من احتياط
القيادة العليا للقوات المسلحة بين الفرق غير الالمانية لاسناد الجبهة الممددة وكان
المؤمل من تعبئة الاسناد هذه تقوية الفرق غير الالمانية وتشجيعها ومساعدتها
على المقاومة كما كان من واجب وحدات المساندة في حالة اندحار الوحدات غير
الالمانية الثبات بشدة ومنع اختراق العدو واندفاعه وبالصمود بهذه الطريقة
فانها سوف تؤمن ظروفًا ملائمة لهجومنا المتقابل .

كانت هذه خطة مدروسة جيدا انما كانت محاذيرها واضحة اذ لو
انهارت القطعات الخليفة الموجودة بين وحدات المساندة بصورة سريعة جدا
أو بصورة كلية أو عند عدم تسير القطعات الكافية لهجومنا المتقابل في الوقت
المطلوب فان وحدات المساندة عندئذ ستجد نفسها في وضع حرج وتكون
بالتالى في عداد الخسائر كليا وعلى ذلك كانت تعبئة المساندة هذه ذات قيمة
مشكوك فيها كثيرا .

٣- التحقت جماعات ارتباط تضم ضباط ركن المان ووحدات مخابرة
المانية الى هيآت الركن العليا للتشكيلات الخليفة والتي كانت تفتقر الى خبرة
وضبط مايمثلها من المقرات الالمانية في الوقت الذي كانت سبل قيادتها
وأساليب مخابرتها رديئة وبطيئة وكان من المؤمل أن تعوض عن ذلك جماعات
الارتباط الحديدية .

٤- استعمل الخداع اللاسلكي بنطاق واسع لغرض ايهام العدو عن حقيقة عدم وجود قطعات المانية على طول الجناح المهدد ولاعطاء صورة زائفة عن قواتنا في هذا القاطع .

لم تكن هذه الا بعض التدابير التي اتخذت آتذ والتي تطلبت الى الكثير من عمل الركن المعقد وعناية كبيرة بالتفاصيل والى قوى تنظيمية جبارة ومع ذلك كان الاخصائيون مدركين جيداً ان هذه التدابير غير وافية الا انها للأسباب التي سبق وبينتها آنفا نفذت بالكفاءة الممكنة ومع ذلك فان القيام بهذه التدابير انطوى بحد ذاته على خطر اقتناع هتلر بان جميع التدابير اللازمة قد اتخذت الامر الذي يجعله كثير الثقة بتحسين الموقف ولهذا كان من الضروري الفات نظره مرة بعد اخرى الى خطورة الموقف والى النقاط الخسمة التي يبتها أعلاه والى وجود حلين صائبين فقط وقد قمنا بذلك رغم انفجارات غضبه العنيف لان ذلك ما يحتمه الواجب .

اما بصدد النقاط ١ و٣ و٤ وه التي انهت بها تمريري والتي كنت أشير اليها بتكرار فقد قبلها هتلر أخيراً وأخذ يعمل بموجبها ولكن كان هتلر لسوء الحظ مقتنعا بوجه عام بالتدابير الوقية والحلول الوسط التي غالباً ما جاءت متأخرة .

وكان التدبير الممكن اتخاذه والذي اتخذ فعلاً هو تأسيس جهاز استطلاع دائم مع مواصلات المخابرة اللازمة لستر الجناح المهدد واقتضى ذلك تنسيق متين لجهود الاقسام المختصة من رئاسة اركان الجيش ورئاسة أركان القوة الجوية ومن وحدات الاستخبارات العاملة مع مقر جحفل الجيش (ب) ولقد شاركنا قائد جحفل الجيش ورئيس ركنه الموثوق به مخاوفنا والتي

أوضحت لهتلر بتقاريرهم عن الموقف وتخميناتهم لنوايا العدو كما أيدت ذلك تدايرنا الاستطلاعية المختلفة في حينه هذا وقد أخذ العدو يعزز قواته بخطى وثيدة وبعزم ثابت أمام الجناح المعرض للخطر بصورة لا تقبل الجدل كما كشف استنطاق الأسرى والمهربيين عن وجود فرق روسية من الدرجة الأولى في هذا القاطع ومن ذلك نستخلص النتيجة الوحيدة وهي ان الهجوم أصبح وشيكاً .

تقدير نوايا الروس

يتراءى الآن ان القيادة الروسية العليا نهجت في تفكيرها على غرار ما فكرت فيه رئاسة أركان الجيش الألمانية بقرارها ابتداء تعرض الروس الشتوي بالهجوم على الجناح الأيسر لجحفل الجيش (ب) الذي لو نجح لعاد عليهم بفوائد كبيرة اذ لم تنطل عليهم تداير الخداع التي اتخذناها كما كانوا على علم تام بان هذا التناطح كان مشغولاً من قبل قطعات غير المانية هي في تقديرهم أقل صلابة في الدفاع من القطعات الألمانية .

ولم يتسن لنا التثبت تماماً بعد عن النقطه التي سيوجه الروس هجومهم عليها على طول الجناح العميق ، أهى القاطع الذي يشغله الرومانيون والقريب من ستالينغراد أم القاطع الايطالى بعيداً الى الغرب أم ذلك الذي يشغله الهنغاريون الاكثر بعداً الى الغرب ؟

ان من وجهة النظر التعبوية البحتة يكون توجيه الحركات نحو أقصى الغرب من الجناح هو خير اختيار ولكنه ينطوي على قرار جريء كانت القيادة الروسية تحجم عن القيام بمثل هذه المجازفة الخطيرة والظاهر انهم

كانوا يرجعون خطة أكثر حذراً لاتزجهم في ميدان بعيد كثيراً .
وفي خلال النصف الاول من شهر تشرين الثاني أي في الوقت الذي
انتقل المقر الاعلى لهتلر ومقر القيادة العليا للجيش الالماني الى الخلف من
فيتسا الى بروسيا الشرقية أصبحت صورة التعرض الروسي واضحة كثيراً
وانهم سوف يهجمون على شمال غرب ستالينغراد واحتمالاً على القاطع الذي
يشغله الرومانيون الا انه بما تعذر علينا معرفته بعد هو موعد شن الهجوم .

قبل الهجوم

رغم ان هتلر رفض مراراً قبول أي حل من الحل الرئيسية الا انه
سمح بتنفيذ وسائلنا الوقتية لتقوية الجبهة المهددة لكنه لا زال حتى الآن غير
متخل عن خطه التعرضية لاحتلال ستالينغراد وقد أوعز بجدة أن يستمر
القتال في المدينة من بيت لبيت وبنتيجة ذلك تكبد جحفل الجيش السادس
خسائر جديدة دون جدوى وفي الحقيقة فان آخر القوات الاحتياطية المتيسرة
للقيادة العليا للقوات المسلحة . وهي أفواج هندسة الحملة من الدرجة الاولى
قد سفرت جواً الى ستالينغراد لغرض احتلال المنطقة المستحكمة بتطبيق تعبئة
الصاعقة الجديدة ولكن هذه الافواج أيدت برمتها وفي الوقت نفسه أصبح
التهدد المتزايد شمالي غرب ستالينغراد واضحاً اكثر فاكثراً .

وفي أوائل تشرين الثاني القى هتلر خطاباً سياسياً قال فيه [لقد رغبت
أن أصل الى الفولغا في نقطة معينة بالقرب من مدينة معينة وهذه المدينة تحمل
اسم ستالين نفسه ولقد رغبت أن أحتل تلك المدينة نحن لانبالغ
في ادعاءاتنا وأستطيع أن أقول لكم الان اننا قد احتلناها ، ولم تبق الا أجزاء

صغيرة فقط خارج أيدينا، وقد يسأل البعض « لماذا لا يتقدم الجيش بأسرع من تقدمه الحالي؟ » ولكنني أجيب بأني لا أريد أن أرى فيردون ثانية أننى أفضل أن أصل الى أهدافي بهجمات محدودة . . . والوقت ليس بذى أهمية [كان هذا خطاباً غريباً : وقد تكلم هتلر بصفتين احدهما كقائد أعلى والاخرى كعضو حزبي وقد برز خطر جسيم الان اذ طالما أعان هتلر نواياه الى المانيا والعالم اجمع فانه سيرفض تحويلها حتما لان تحقيقها اصبح امراً يتعلق بكرامته الشخصية والمعلوم ان المستبدين يكونون ضمعي المراس في كل ما يمس كرامتهم الشخصية وبالاضافة الى ذلك فان هتلر كان سياسيا وليس عسكريا وهو باعلانه نواياه بهذا الاسلوب اراد ان يحدد نهائيا الاهداف لتمادته وقطعته وذلك لتموية عزمهم وعزيمتهم ، واعتقد هتلر انه بمجرد تكلمه فانهم سسمدون بشدة وفاته ان يدرك وقع كلماته في اذان الضباط الكبار والصغار والجنود الذين كانوا يقاتلون بمرارة ويموتون في ستالينغراد وحواليها كما لم يفهم مدى تأثيرها على رئاسة اركان الجيش ورئيسها وفي الواقع لم تؤخذ استشارتي قبل التمام الخطاب وقد علمت بمضمونه لأول مرة عند سماعه من الراديو .

لقد عرضت خلال الاسابيع الاولى من شهر تشرين الثاني مطالبتي الاساسية على هتلر مراراً واخذت صورة الموقف المقدم من قبل جهاز استطلاعنا متكامل يوماً بعد يوم وقد عملنا بتعاون تام مع القوة الجوية وهوجمت تحشدات القطعات الروسية ولم يبق لدينا رغم كل ذلك الا امل واحد وهو امكان اقناع هتلر بقبول الحل الرئيسي أخيراً وكانت خطتي ترمى لارضاخه بالحاح بتكرار واقع الحال .

وكان يشاركني في الوقت نفسه في مخاوفي كافة ضباط رئاسة اركان الجيش من

كبار رؤساء الشعب الى اصغر رئيس لاقصى حد وكنا نتظر الهجوم الروسي بقلق بالغ وكنا نعلم انه اصبح وشيك الوقوع وانه اذا مانجح اوقع جيش ستالينغراد برمته في مأزق حرج ، وانه لمريع حقاً ان تتوقع حدوث كارثة وان لانستطيع الحيلولة دون وقوعها وان نرى العلاج الوحيد لها يهمل ويرفض من قبل الرجل الوحيد صاحب الحول والطول الا وهو هتلر .

وفي مقر جحفل الجيش (ب) قدر الموقف كل من القائد العام ورئيس ركنه على غرار ما قدرته انا تماما وهما يتفقان معي في الرأي بأن الحل الرئيسي وحده هو الذي يمكننا الان من تجنب وقوع الكارثة المحدقة بنا هذا وقد دب اليأس اليهما ايضاً لعدم استطاعتهما التأثير في تغيير مجرى الحوادث وجل ما كان باستطاعتها هو الفات نظر هتلر الى حقيقة الاوضاع الراهنة بتقاريرهما وتقديراتهما للموقف وقد ركزا اهتمامها على القاطع ! المهدد ليتينا اللحظة الحرجة في اقرب وقت ممكن . ولقد جرت بطبيعة الحال عدة محاولات لتدمير ارتال العدو وتحشيدات قطعاته بالهجمات الجوية وبقصف المدفعية البعيدة المدى ولم يكن المؤمل ان يؤدي هذا كما هو الحال دائماً الى اكثر من تأجيل الموعد المحدد للهجوم اذ ان منع وقوع مثل هذا الهجوم كلياً لا يتم الا بتأمين النفوق الجوي الكامل لامكان ابقاء سكك حديد العدو وطرقه ومناطق تجمعه تحت رحمة الهجمات المستمرة من قبل القوة الجوية الفعالة ، كثيراً ، اما نحن فلم نكن نملك مثل هذا النفوق الجوي او القوة الجوية بالحجم المطلوب .

هكذا كان الموقف عندما اطر علينا الشتاء الروسي بكل قساوته وكنا نعلم في هذا الوقت ان الهجوم الروسي سوف لا يتأخر طويلاً .

— بدء التعرض الروسي —

تلقت في الصباح الباكر من يوم ١٩/ تشرين الثاني / ١٩٤٢ القيادة العليا للجيش الموجودة آنئذ في بروسيا الشرقية البرقية التالية :

« وقع قصف مدفعية شديد جداً على طول الجبهة الرومانية شمال غرب ستالينغراد » وقد اوصل هذا النبا الينا احد ضباط ارتباط رئاسة اركان الجيش عن طريق جحفل الجيش (ب) بدون تأخير . وهكذا علمنا بان الهجوم قد بدء ونحن نعرف بانه سوف يتطور حتماً الى ما توقعناه وكما سبق واخبرنا هتلر بذلك مراراً ، ولم يبق الا ان نرى ما اذا كان تقديرنا لقوة الروس صحيحاً ام لا .

ارسلت البرقية التالية الى جحفل الجيش (ب)

« يتيأ الفيلق المدرع « ه » للعمل حالا ، سبق ان قدم الطلب لهتلر لفك ارتباطه من الاحتياط . »

لقد كان هتلر قد امر بعدم استخدام هذا الفيلق الوحيد في الاحتياط الا بموافقة الشخصية ، ولهذا فحالما سمعت نبأ السد الناري الروسي وافترضت بان الموقف سوف يتطور كما هو متوقع طلبت استخدام هذا الفيلق مع ادراكي ان لا ضرر من ذلك فيما لو سارت الامور على غير ماتوقعناه .

لم يكن هتلر في بروسيا الشرقية في ذلك الوقت بل كان مسافراً الى ميونيخ او بربخستكادن في قطار القيادة الخاص وبصحبه هيئة ركنه الخاصة التي كانت تضم الفيلد مارشال كايتل والجنرال يودل . وقد اتصلت بهتلر تلفونياً واخبرته بالانباء وبصعوبة كبيرة اقنعتة بفك ارتباط الفيلق المدرع (ه) من احتياط

القيادة العليا المتواتر المساحة واعطائه الى جحفل الجيش (ب) الا انه كان
يميل لارجاء هذا القرار حتى في مثل هذا الوقت وانتظار ورود تقارير اخرى
عن الجبهة وقد تطلب الامر مجهودا عظيما لافقائه بان ذلك قد يكون بعد
فوات الاوان ، وقد اعتبرت نجاحي في فك ارتباط الفيلق المدرع من الاحتياط
موقفة شخصية ابتهج لها جحفل الجيش (ب) ايضا .

وقد اشتد في هذا الوقت القصف الروسي لمواقع الرومانيين بدرجة كثيفة
جدا وبعد ذلك هجم الجيش الاحمر تحت ستر زوبعة المجية شديدة وبدرجة
حرارة ٢٠ مئوية تحت الصفر وتقدم عدد من الدبابات الى مواقع الرومانيين
كان يركب عليها المشاة او يتجبنون قريبا خلفها وكان للروس فائضية عديدة في
كل مكان ، وقد اصبحت الجبهة الرومانية على الترتيب تقريبا مسرحا للفرضى
والارتباك الشاملين .

اخذ جحفل الجيش (ب) يتسلم سيلان من التقارير المتناقضة غلبا والي
يجري ايصالها الى القيادة العليا تباها ولقد اعطت هذه التقارير صورة عامة عن
هلع الهزيمة الذي اصاب الرومانيين ، (عن ظهور الدبابات الروسية عينا في
مؤخرتنا ، كما وصفت تقارير اخرى المقاومة البطولية وتحطيم العدد الكبير من
دبابات الجيش الاحمر ، واخيرا انجلى الموقف واتضح بان الروس قد اخترقوا
الجبهة الرومانية في نقطتين واحتدم القتال فيما بين هاتين النقطتين وفي الجناح
الايسر ، استمرت القطعات الرومانية ووحدات المساندة الالمانية تقاتل بشجاعة
فائقة ضد قوات العدو المتفوقة ، وحالما ادرك جحفل الجيش ما حدث زج بالفيلق
المدرع (هـ) للقيام بالهجوم المقابل ضد الوحدات الروسية التي قامت
بالاختراق الاكبر .

لقد اطلعت هتلر باستمرار على تطورات الموقف في الجبهة تافونيا وبينت له مراراً ان الوقت قد حان الان لتنفيذ الحل الرئيسي وهو الانسحاب من ستالينغر والا فعلى الاقل اجراء التحضيرات الضرورية لتنفيذ هذه الخطة في المستقبل التريب فاغضب هذا هتلر وظل كعادته يتمسك بكل بارقة امل وقال « يجب علينا ان نتظر لنرى مدى تأثير اشتراك الفياق المدرع (هـ) على سير المعركة » ولما قلت له ان اكثر ما يمكن ان نتوقعه من هذا الفيلق هو ابطاء اختراق الروس وليس ايقاف تقدمهم صرف النظر عن التقرير ببساطة على اعتباره تشاؤم في غير محله .

وفي هذا الوقت استمر الموقف يزداد سوءاً اذ استطاع الروس توسيع ثغرتي اختراقهم واندفعت دباباتهم بعمق اكثر الى الخلف وهاجمت الدروع الروسية المتقدمة الفياق المدرع (هـ) نفسه في الوقت الذي كان يتأهب للهجوم كما عرقلت حركاته جموع الرومانيين الهاربين وحالة الجو القاسية وبذا تضاعف امل نجاح الهجوم المقابل بسرعة بينما وجدت تلك القواطع في الجبهة الرئيسية التي ظلت صامدة في مواقعها نفسها في حالة خطر متزايد وبذلك تخرجت الازمة كثيراً .

وكان من وجهة نظر جحفل الجيش (ب) والقيادة العليا للجيش ان الحالة سائرة لما هو اسوء حتماً فقد كنا على يقين ان الفياق المدرع (هـ) غير قادرة على تأمين استقرار الموقف وانه في الحقيقة قد وقع في دوامة الارتباك العام ، وبضياعه سبضيع منا تشكيل الاحتياط الاول والاخير .

وقد تراءت لنا في القيادة العليا للجيش صورة المستقبل معتمة حقاً ، لقد بذلت جهدي لشرح ذلك لهتلر واقترحت عليه مرة اخرى الامر بانسحاب الجيش السادس

لانه الوسيلة الوحيدة لتجنب الكارثة الكبرى اذ ما كان على هذا الجيش الاستدارة الى الخلف وحماية مؤخرته الجديدة بقتال الساقات والهجوم على الروس الذين اخترقوا الجبهة الرومانية وبذلك يتسنى تكوين جبهة ثابتة بعيداً الى الغرب .

وهذا العمل سوف لا يجنب الجيش السادس التهديد بالخطر فقط بل قد يضع الارتال الروسية في موقف حرج ، كما انه من الممكن لنا في مثل هذه الحركات ان نتوقع اكتساب بعض الانتصارات المحلية على الاقل ، اما اذا لم نتم بهذا العمل فلا مناص من وقوع الكارثة حتماً وسوف يعزل الجيش السادس ويطوق وتحديث ثغرة واسعة في جبهة جحفل الجيش (ب) حيث لا تيسر قطعات جديدة لاعادة التماس مع الجيش السادس او لسد الثغرة ، وتأخير كل يوم سيزيد كثيراً في صعوبة انقاذ الموقف وتفادي وقوع الكارثة الداهمة . ،

رفض هتلر هذا الحل الجريء الكبير وبالرغم من كل طلباتي بالتلفون وبالرغم من ايضاحاتي المتكررة عن الموقف وما سيتطور اليه بقى هتلر متصلياً بعيداً ولكنه ما لبث ان اوعز باستداره قطار قيادته الخاص والعودة من بافاريا الى مقر قيادته في بروسيا الشرقية .

- خطة هتلر ويودل -

قبل ان يصل تظار القيادة الى - واستنبرغ - كاهن الجنرال يودل تلفونيا، ولم اكن اتوقع هذ المكالمة اذ لم يكن هناك ما يربطني به كثيراً فميادين القتال التي كانت حياة ركنه مشغولة بهامي الميادين الجنوبية والغربية، اما الجبهة الشرقية فكانت من مسئولية القيادة العليا للجيش ورئيس اركان الجيش ، ولقد احجم

يودل بحضوري عن الأقل عن ابداء النصح لهتلر في المواضيع التي تتعلق بالجبهة الشرقية وقصر فعالياته في الامور المخصصة له اي الميادين اخرى [كانت تعرف بميادين القيادة العليا للقوات المسلحة] ولادارة الحرب العامة وللأمور الخاصة بالسياسة الحربية .

وعلى كل فظاهر الان ان الجنرال يودل والمارشال كايتل وجدا الفرصة المناسبة في قطار التيادة وفي غياب رئيس ركان الجيش ان يقدموا المشورة لهتلر حول الحركة الدائرة في الشرق او لربما طلب هتلر المشورة منها وعلى اي حال فانهما قدماها له وسرعان ما انكشفت ماهية تلك المشورة ، فقد قال لي الجنرال يودل بالتلفون بأن على القيادة العليا للجيش النظر في امكان جلب فرقة مدرعة واحدة من جحفل الجيش (أ) في القوقاز لتؤلف احتياطاً خلف الجبهة المهتدة من جحفل الجيش (ب) .

هكذا كان الحل المقترح للالزمة كما وضع في قطار القيادة الخاص لهتلر رغم ان نقل هذه الفرقة الواحدة الى المنطقة الخطرة يستغرق وقتاً طويلاً حتماً ، ولا داع هنا للسؤال عما اذا سيكون عليه الموقف عند وصول هذه الفرقة اخيراً ، لقد اصابني الدهشة من ذلك فطلبت ان اتكلم مع هتلر شخصياً وطلبت منه مرة اخرى السماح باصدار الامر بانسحاب الجيش السادس فأجابني بنبرة باردة كالثلج بقوله [لقد وجدنا وسيلة اخرى سيخبرك عنها يودل وسوف نتكلم عنها غداً] وكان هذا كل شيء ، تم اخبرت فيما بعد بصورة رسمية ان هتلر يود متمالتي في ظهر اليوم التالي لمناقشة الموقف فاجبت ان ذلك سيكون متأخراً جداً واخبرت عند ذلك ان ليس بالامكان مقابلة هتلر قبل ذلك لانه متعب من رحلته الطويلة ومن الجدير ان ابين هنا بوضوح ان هذا حدث في الوقت الذي كانت

الجهة تلتهب ومئات من الجنود البواسل يموتون في كل ساعة تمر ، تجاهلت
هذه التعليمات وكنت في منتصف الليل في الوقت المتوقع لوصول قطار هتلر انتظره
في مقره الاعلى والحجت على مقابلي له في الحال لاهمية الوقت الحيوية الان
ولان التأخير لساعات قلائل يؤدي الى تهديد نجاح الحركات التي يجب القرار
عليها حالا ، غضب هتلر وحاشيته كثيراً لظهوري هناك في منتصف الليل بدلا
من الانتظار حتى ظهر اليوم التالي ومع ذلك فقد سمح لي اخيراً بالمشول امامه .
ولاهمية هذه المقابلة كثيراً بالنسبة لسير الحركات المقبلة في منطقة ستالينغراد
ولانها تبرز اساليب هتلر بصورة واضحة سأشرحها ببعض التفصيل .

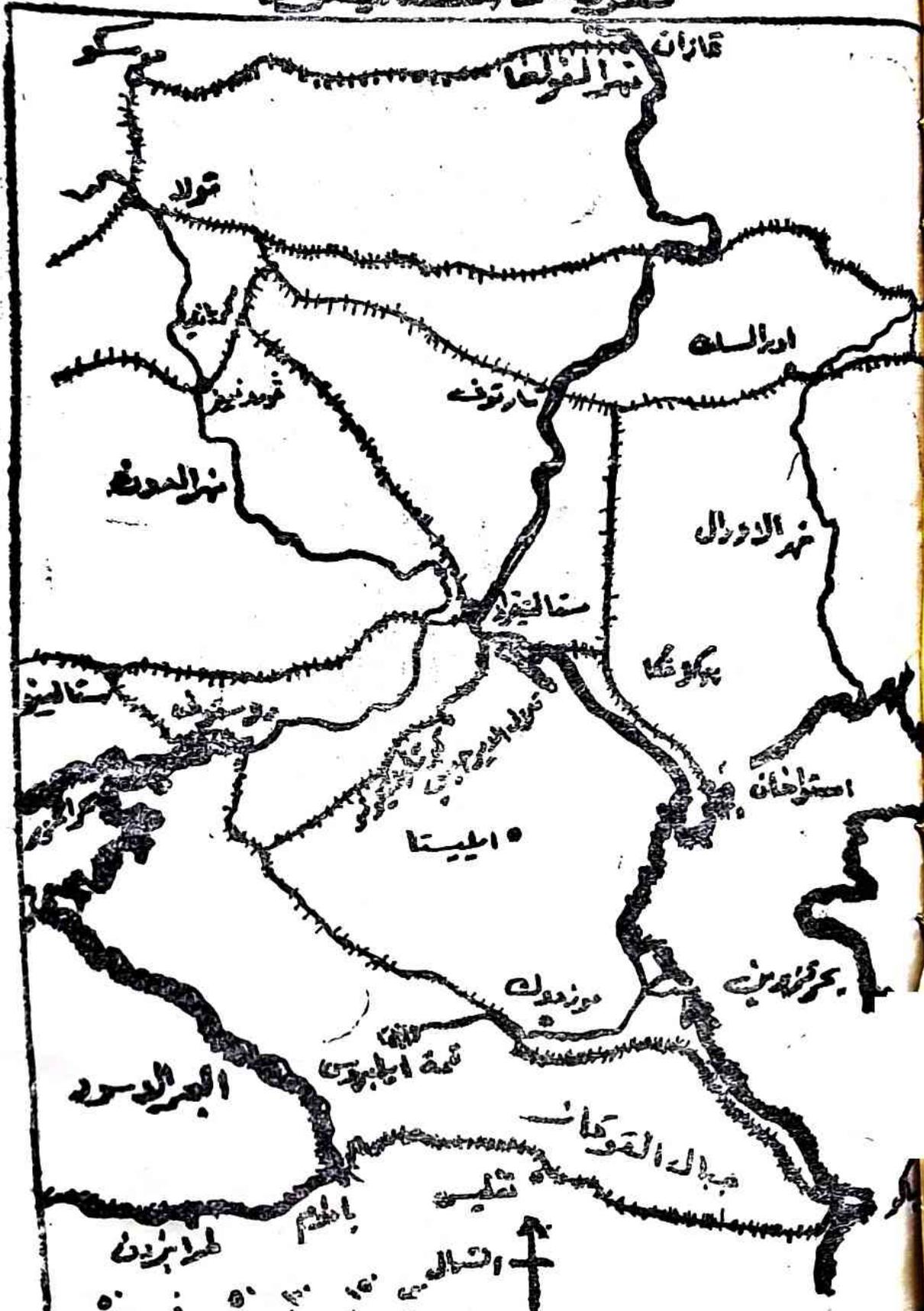
لقد جاء هتلر لاستقبالي ماداً يده وعلى وجهه ابتسامة مشرقة عمد بها بدت
الثقة والامل ، وصافحني وقال [شكراً لك ، لقد عملت جل مايمكنك عمله وما
كان باستطاعتي شخصياً ان افعل اكثر من هذا لو كنت في محلك] وحيث قد
قررت ان احفظ بتجهمي قال بصوت تغمره العاطفة [لاتسمح لنفسك ان
تنزعج ويجب ان تبدو ثابت الجأش في الملمات ، ويجب ان تتذكر فردريك
الكبير] .

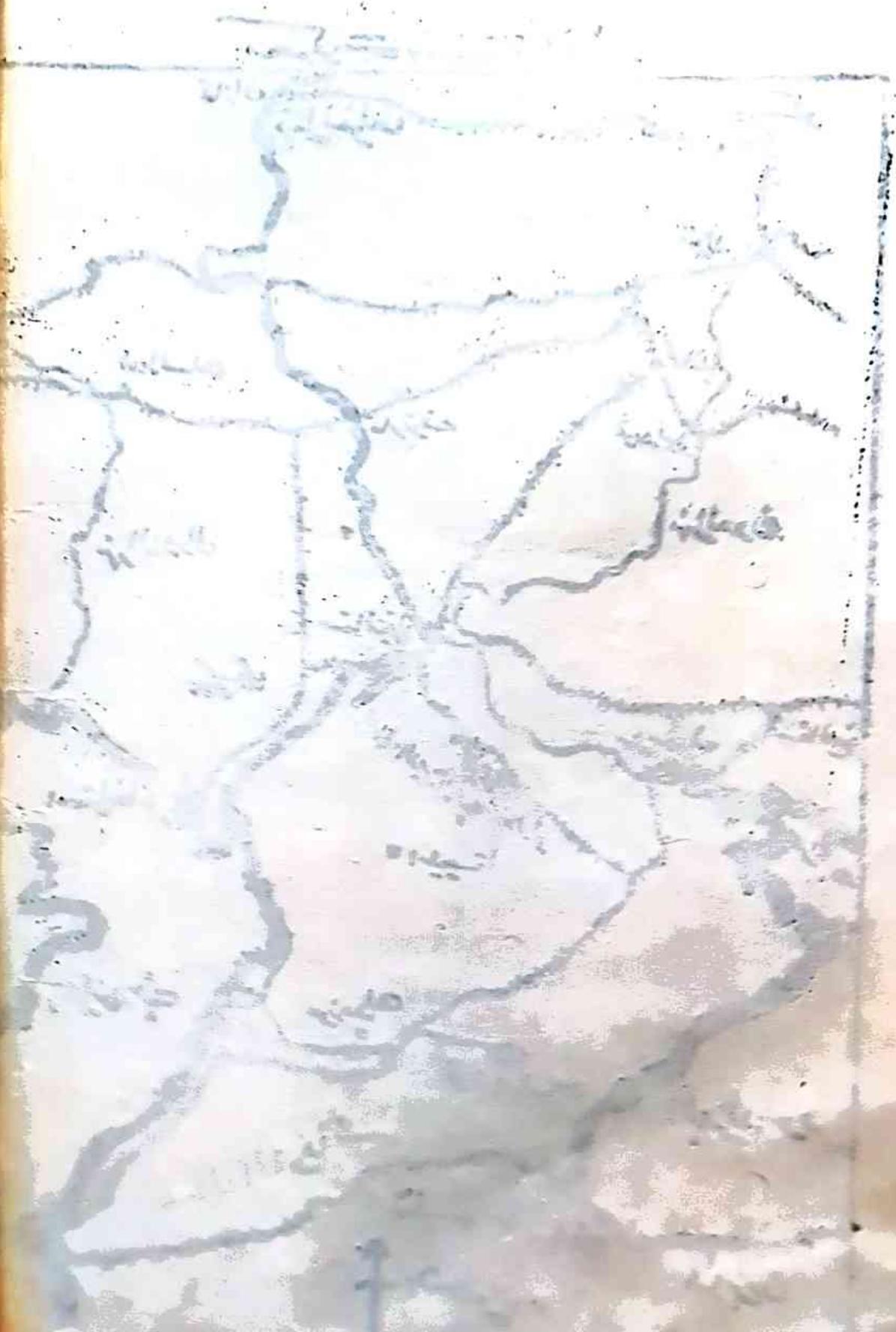
لاشك كان يود تشجيعي وانه ربما كان يأمل انه لو استطاع ان يوحى
الى ببات الجنان الذي تكلم عنه ان اتخلي عن مناقشاتي الاندحارية التي تجبذ
انسحاب الجيش السادس وكذلك من المحتمل انه كان يريدني ان اعجب شباته
هو في وجه الملمات ، والظاهر انه فشل تماماً في ادراك ان مثل هذا التمثيل
ابان الشدائد والازمات غير مفيد فحسب بل ومن الممكن ان يؤدي الى عكس
مايرجوه منه . بدأت الحديث بوصف الموقف شمال غرب ستالينغراد كما هو
الان استأداً الى اخر التقارير المستلمة من الجبهة وكما هو متوقع ان يتطور

في المستقبل القريب وقدمت له التقارير والتقديرات المستلمة من قائد جحفل الجيش (ب) المارشال قون فايخز ومن رئيس ركنه الجنرال فون زودنيشترن الذين يشاركانني ارائي ثم انتهيت بقولي انه اذا استمر سير الحوادث بنفس المنوال الحالي فان الجيش السادس سيطوق حتماً وهذا مايجب تجنبه مهما كلف الامر لانه اذا ماطوق هذا الجيش فسوف لايمكن فك الحصار عنه او ادامة تمونيه ، وهنا قاطعني هتلر اذ فقد السيطرة على اعصابه و اشار الي الحل الذي توصل اليه هو ويودل والمتضمن نقل فرقة مدرعة واحدة من القوقاز . لقد توقعت هذا وبذلك استطعت ان اقدم الان تقريراً مفصلاً عن ظروف النقل والتاريخ المقدر لوصول الفرقة المعنية واقرب تاريخ لامكان دخولها المعركة وكان هذا لايقبل عن الاسبوعين على اقرب تقدير وليس هناك مايقال عما سيكون عليه الموقف عندئذ، الا شيئاً واحداً اكيذاً وهو ان الموقف سيسوء بفضاعة اذا ما جلسنا مقيدين ولم نعمل شيئاً لمدة اسبوعين وعندئذ تصبح فرقة واحدة والتي هي دون ملاكها الكامل عديمة الفائدة تماماً وغير قادرة كلياً على التأثير على سير الحوادث وازضافة الى ذلك كان من المشكوك فيه امكان قيامها بالهجوم بصورة مجموعة كوحدة اذ من المحتمل بالنسبة للموقف ان ندخل اقسامها المعركة على انفراد حال ترجلها من القطار .

ولقد ظهر لي ان هذه البيانات ولاسيما حساباتي المفصلة الخاصة بتاريخ وصول الفرقة كان لها بعض التأثير على هتلر لكنه لم يوافق على ترك خطته تلك اذ فكر قليلاً ثم قال [وفي هذه الحالة ستجلب فرقتين من القوقاز] فاجبته ان هذا سوف لايجد نفعاً لان الوقت الخطر هو الان وقد تحدث فرقتان بعض التبدل في الموقف ولكن جلبهما من القوقاز في الوقت المناسب غير ممكن ، كانت

مملكة سستان القديمة





في مقاومة فرق الهجوم الروسية المنتخبة بنجاح اكثر من القطعات المقاتلة التي تغلب عليها الروس فعلا ، والان وجدت هذه التشكيلات الادارية الصغيرة الضعيفة ناقصة التسليح والتدريب الجيد نفسها ملقاة تجاه نخبة من الجيش الاحمر المسند كثيراً بالدروع والمدفعية ، ورغم ان هذه التشكيلات الادارية حاربت بشجاعة وماتت في اماكنها الا انها لم تستطع ايقاف الاختراق الروسي انما اخرجت التقدم دون الحيلولة في تطويق الجيش السادس .

لم يكن الهجوم المقابل للفيلق المدرع (هـ) مشجعاً كثيراً ، والظاهر ان هتلر وحاشيته قد توقعوا الكثير من هذا التشكيل الذي كان يبدو ذا اثر كبير على الخرائط حيث ضم اكثر من مائة دبابة ، وكانت المظاهر مظلمة ومع ذلك كان يجب ان لا ينخدع بها هتلر الذي كان بطبيعة الحال على علم تام بالحقائق ولكنه رفض مرة اخرى بحجته الاعتيادية بمجاوبة حقيقة هذا الفياق على اساس ان التقارير اندحارية . كان الفياق مؤلفاً من فرقتين . الفرقة المدرعة الاولى الرومانية والفرقة المدرعة الثانية والعشرين الالمانية . ولم تكن الفرقة الرومانية قد مارست اي قتال حقيقي وكانت مجهزة كلياً بالدبابات المستولى عليها ، وكانت الفرقة المدرعة الثانية والعشرين ناقصة الملاك وكانت معظم عجلاتها قد توقفت عند التقدم الى الجبهة ، اما الاحوال الجوية التي سيقا تل الفيلق فيها فكانت فظيعة اذ كان الجليد منتشرأ في كل مكان والثلج يتساقط بدون انقطاع مكونا كتلا ثلجية ، وكانت ساعات الضوء في الاربعة وعشرين ساعة قليلة جداً ، وكان المؤمل من الفيلق المدرع (هـ) في مثل هذه الظروف القاسية ان يصد سيل الدبابات الروسية المتدفق خلال ثغرة واسعة في جبهتنا الامامية التي كان يزداد اتساعها باستمرار ولكن العارفين بحقيقة ما كان عليه الموقف كانوا مدركين بان الفيلق

المدرع (هـ) هالك قبل اشتراكه بالمعركة فعلا . تأخر الهجوم المقابل للفيلق كما توقعنا بسبب الجو والعدو ، واخيراً دخل المعركة وحصل على بعض النجاح في التو ، وتوقف الروس في عدة نقاط متكبدين خسائر كبيرة خاصة في الدبابات ولكن لم يأت هذا بتبدل جوهرى في المرفق ولا الى اعادة الموقف الى ما كان عليه سابقاً كما كان يأمله هتلر .

ان مثل هذا الواجب الجسيم كان اكثر من قابلية فرقتين بل كان يتطلب الى قوة كبيرة مؤلفة من عدة فرق تضم قطعات مجربة ومجهزة بتجهيزات من الدرجة الاولى .

وعندما علم هتلر بفشل الهجوم المقابل للفيلق المدرع (هـ) استشاط غضباً والتفت الى المارشال كايتل الذي كان مسؤولاً عن امور الضبط فى الجيش صارخاً احضر قائد الفيلق حالا وجرده من رتبته واقذف به الى السجن فكل ذلك خطؤه .

هكذا كان الجو السائد حول طاولة اجتماع هتلر وبالنظر لخلقته فانه لم يكن غريباً ان يرفض بعنف الاستماع الى عندما حاولت مرة اخرى الحصول على موافقته لانسحاب الجيش السادس او الالتفات الى تقارير قيادات جحفل الجيش (ب) والجيش السادس التي حاول فيها القادة الذين كانوا مدركين تماماً جسامه مسؤوليتهم الفات نظره الى خطورة الوقف، وقد اوضحت هذه التقارير التطورات المحتملة فى المستقبل فى ساحة المعركة وطلبت ايضاً انسحاب الجيش السادس ، ولكن غضب هتلر زاده عناداً .

وبعد ساعات قليلة وبعدها اعتقدت ان غضب هتلر قد زال طلبت مقابلة خاصة معه وحصلت عليها وكنت آمل ان اوفق فى تأمين نتيجتين ايجابيتين من

هذه المقابلة اولاهما : انني حسبت اذا ما تمكنت ان اقدم ببرود تقريراً واقعياً عن الموقف الحقيقي والنتائج المترتبة من ذلك في المستقبل دون مقاطعة حاشية هتلر الشخصية بالتعليقات الهامسة عند عرضي ذلك قد استطع اقناعه بتبديل رايه ، وثانيهما بانني رغبت ان ابين له بان التهم الموجهة الى قائد الفيلق المدرع (هـ) لا مبرر لها وانه يجب ان ترفع عنه بهدوء .

لقد قاباني هتلر بسكينه تامة واستمع بانتباه الى ما قلته وبذلك اعتبرت هذه المقابلة نجاحاً مزدوجاً ، فعندما اوضحت له الموقف وسير الاحداث المحتملة في المستقبل او عدني هتلر الذي احجم عن مقاطعتي ان يعيد النظر بقراره بعناية وهدوء ، ثم حولت الحديث الى موضوع قائد الفيلق وقلت - ولو ان امور المجالس العسكرية ليست من اختصاص رئيس اركان الجيش لكنني اود ان اقول شيئاً عن قائد الفيلق المدرع (هـ) فامتقع وجه هتلر على الفور ولكني مضيت بحديثي قائلاً انني اذ ابحت هذا الموضوع فذاك لمساسه بالحركات ايضاً من حيث تأثيره على ادارة الحركات في الجبهة الشرقية وكرئيس اركان الجيش ارى ان القائد الذي يرتكب اخطاء تترتب عليها نتائج خطيرة يجب ان يحاسب ولكن قبل ان يطلب منه تبرير اعماله الماضية يجب في الحقيقة اثبات كونه على خطأ ، والحالة تختلف مع التاكد موضوع البحث فالتهم الموجه اليه لا تستند الا على مجرد افتراضات فقط : وعليه اقترحت بعد ذلك ان يشكل مجلس تحقيقي للتحقيق عن حقيقة الموضوع وان يعين هتلر اعضاء للمجلس من القادة الذين يعرفهم شخصياً ويثق بهم .

فكر هتلر ملياً قبل الاجابة وقال « حسناً سأعمل ذلك » ولكن لسوء الحظ تأيد ان نجاحي المزدوج لم يكن الا ابن ساعته اذ ما ان رأيت هتلر ثانية حتى قال « لقد اعدت النظر بالموقف بعناية ولكن بقت النتائج كماهي لم تتغير فلا

ينسحب الجيش السادس « وفي الواقع انني لا استطيع الجزم
ما اذا كان هذا قراره هو او انه موحي به من المارشال كايمل والجنرال
يودل . وعلى كل فانه لم يسأل رأي رئيس اركان جيشه ثانية ، اما عن موضوع
قائد الفيلق المدرع (هـ) فقد اخلف هتلر ببساطه وعده لي وكان هذا نتيجة
بحث طويل مع كايمل وهكذا ابقي هتلر على قراره الاصلي الذي املاه عليه
الغضب وخيبة الامل ، ولذلك لم يسمح لاي احد ان يذكر اسم القائد المذكور
بين يديه وقضى هذا عدة اشهر في السجن ثم نزلت رتبته الى رتبة جندي بسيط
ولم يؤلف مجلس تحقيقي لان وجود مثل هذا المجلس كان يعني فضح المسؤول الحقيقي
في فشل الهجوم المقابل للفيلق المدرع وفي اوائل كانون الاول وزع مقتبس
الحكم الموقع من قبل هتلر على القادة الكبار محتويآ على الاخطاء المزعومة
المرتكبة من قبل قائد الفيلق السيء الحظ .

التقاء ذراعي الكماشة الروسية

أخذ الموقف في الجبهة يزداد سوءاً ساعة بعد اخرى وفي اليوم الثالث من
هذه المعركة الشتائية الهائلة كان التقاء ذراعي الكماشة الروسية فتطويق الجيش
السادس وشيك الوقوع . وكان مقر الجيش المذكور المعين موقعه بدقة تامة هو
نقطة الالتقاء المتوقعة لذرعي التقدم الروس ولذلك طلب قائد الجيش السادس
من هتلر السماح له بتحريك مقره بعيداً الى الغرب ولكنه لم يحصل على
جواب لطلبه .

كان البيان الرسمي اليومي يكتب في مقر القيادة العليا للجيش ويجري
تصحيحه عادة من قبل هتلر نفسه ، وفي اليوم الاول للمعركة جاء فيه ما يلي :
(قام العدو بالهجوم بقوات قوية من المشاة المسندين بالدروع)

وجاء فيه في اليوم الثالث (نجح السوفييت في اختراق جبهتنا الدفاعية في جنوب غرب ستالينغراد وفي عطفه الدون الكبيرة يقذف كتل هائلة من الرجال والمعدات في المعركة بدون مبالاة) وفي مساء ٢٢ تشرين الثاني وردت رسالة لاسلكية من قائد الجيش السادس يخبر فيها القيادة العليا للجيش ان جيشه قد طوق الان فأجاب هتلر لاسلكياً أيضاً أمراً الجيش السادس باتخاذ موضع دفاعي مدافع عنه من جميع الجهات وان يتحرك قائده وهياًة ركنه الى ستالينغراد - وهكذا تم تطويق ستالينغراد ، واستمر الروس في تقدمهم على طوار بقية الجبهة المتهبة بدون توقف .

والظاهر ان القيادة الروسية العليا قد بنت خطتها على الاعتبارات التالية وهي بالنظر لجميع التجارب الماضية سوف تصدر الاوامر الى الجيش الالماني والوحدات الاخرى المطوقة معه في ستالينغراد وحولها ان يصمدوا بثبات ويقاتلوا حيث هم واقفون ، وهو ما لا يستطيعونه لمدة طويلة وبذلك يقعون تلقائياً فريسة بأيدي الروس ، وعليه فالهدف التالي للتعرض الروسي يجب ان لا يكون ازاحة الجيب في ستالينغراد بل منع تقويته بقوات آتية من الخارج وان احسن وسيلة لتأمين ذلك هي دفع الجبهة الالمانية الى اقصى حد ممكن وبذلك تكوين اكبر فجوة بين الجيش المطوق وبين القوات الالمانية الرئيسية باقصر فترة زمنية ممكنة كانت هذه الخطة صحيحة وواضحة معاً وشرع الروس الان بتطبيقها فعلاً فهوجم جحفل الجيش (ب) بقوة وبدون هوادة وتم دفعه شيئاً فشيئاً بعيداً الى الغرب وتوسيع نطاق نصرهم فانهم هاجموا الايطاليين في النصف الثاني من كانون الاول والهنغاريين في كانون الثاني واخيراً هاجموا الجيش الثاني الالماني الذي كان في جناح الهنغاريين الايسر واندفعوا كثيراً الى الغرب وكانت النتيجة كما سبق وتبأتها تماماً عند مقابلتي الطويلة لهتلر اثر تعيني رئيساً لاركان الجيش .

- حصن ستالينغراد -

نعت اولى الاوامر التي اصدرها هتلر بعد التقاء ذراعى الكماشة الروسية بما يلي « تعرف قوات الجيش السادس المطوق في ستالينغراد بقطعات حصن ستالينغراد » وهكذا وبجرة قلم اصبح التطويق حصناً على قدر ما يتعلق الامر بهتلر ، وربما انطلقت هذه الحيلة على البعض من الشعب الالماني غير المتشكك ولكن الهيات العسكرية والقطعات المقاتلة - والعدو احتمالاً - كانوا يدركون ما هي في الواقع حصون هتلر .

كانت هذه نموذجاً لاساليب هتلر في شن الحرب النفسية ، وقد اعتقد بانتحاله كلمة « حصن » انه اصاب عدة عصابات بحجر واحد ، اذ سوف ينخدع العدو فيحسب ستالينغراد منطقة محصنة بمواضع دفاعية قادرة على ايقاف اي هجوم ، وسوف تشجع القطعات الالمانية الموجودة في ستالينغراد للسمود بشدة باعتقادها انها اصبحت الان في حصن يقوى لتحمل حصار مديد يحميها من تكبد خسائر كبيرة ، وسوف يلتبس الامر على السكان المدنيين بالذكريات التاريخية عن الحصون والدفاع عنها يطولة ثم انقاذها ببطولة ، كذلك سوف ينسى العالم حقيقة الموقف المتمثلة في تطويق جيش الماني بدون مبرر نتيجة للخطط الفاشلة الموضوعه من قبل الجهات العليا وان حصن ستالينغراد لم يكن حصناً بالمعنى الصحيح وانما بالاسم فقط .

كان هتلر مسروراً باختراعه هذه التسمية وقد اخبرني بها وهو يتألق بشراً ويتوقع منى كما يظهر ابداء تأييدي بحماس ولكني قلت له كان الحصن في الايام الماضية حصيلة عمل تحضيرى طويل فبعد بناء التحصينات كانت تكدر فيه كميات كبيرة من العتاد والارزاق ، اما ستالينغراد فانها لم تكن محصنة

ولا بموتة ، واضافة الى ذلك فان الغاية من الحصون هي تثبيت قوات كبيرة من العدو بقطعات قليلة نسبياً من قواتنا ، وكانت الحالة بعكس ذلك بالنسبة للجيش السادس .

ولكن هتلر لا يتحمل اي انتقاد حتى في موضوع تافه كهذة التسمية وقد تبرم بتعليقاتي وتمسك باختراعه ، اما القادة والجنود الواقعون في الجيب فقد اغاضهم هذا العنوان الطنان عديم المعنى الممنوح لهم دون ان يكون له اي اثر اخر .

كان التطويق مبدئياً يعرض حوالي ٢٥ ميلا (اي محور شرق - غرب) وحوالي نصف ذلك عمقاً (اي محور شمال - جنوب) وكانت الارض جرداء قلما ترى فيها شجرة او نبتة وكانت تشمل عدداً من القرى والقسم الاكبر من ستالينغراد رغم بقاء بعض قواطع هذه المدينة بيد الروس وتقع حدودها الشرقية على الضفة اليمنى لنهر الفولغا ، اما القسم الاكبر من الجبهة فكان قد تشكل حديثاً - نتيجة للاختراقات الروسية من الشمال والجنوب - وغير محصن كلياً فاقضى بناء التحصينات الان في ظروف قاسية جداً تحت تأثير العواصف الثلجية العارمة وبدرجة حرارة واطئة تقل عن درجة الانجماد كثيراً مع عدم تيسر مواد البناء اللازمة على الاغلب وبلوغ الاعياء البدني لدى الضباط والمراتب على السواء اقصى درجاته ، في مثل هذه الظروف ابتدعت قضية الحصن .

كان الجيب يحتوي على معظم العشرين فرقة الالمانية وعناصر من فرقتين رومانيتين وقطعات المقر العام كالهندسة والمدفعية وافواج مدافع الصولة ووحدات هندسة الحملة ووحدات من المنظمات الخاصة وهيأت ركن مقرات خمس فيالق ومقر قيادة الجنرال بولس قائد الجيش السادس ، اما القوة الجوية الالمانية فكانت ممثلة بقسم من فيلق مدفعية ضد الجو والجماعة الارضية وكانت كميات العتاد

والارزاق المكدسة قليلة كما كانت القطعات المطوقة تفتقر بصورة خاصة الى الوقود للوحدات الالية المتعددة وكان واضحاً ان مواد التموين المتيسرة هذه سوف تستهلك بسرعة .

لم يكن بالامكان تثبيت العدد الصحيح للقطعات المطوقة وكانت الارقام تتراوح بين ٢١٦ الف واكثر قليلا من ٣٠٠ الف ويرجع سبب هذا التباين الى ان الرقم الاعلى كان يمثل قوة القدر للجيش السادس والوحدات الملحقه به قبل بدء التعرض الروسي وان بعض العناصر الصغيرة للجيش السادس استطاعت الافلات من التطويق في بدايته بينما تطوقت وحدات لجيوش اخرى ، وكان الموقف مرتبكاً في الاسابيع الاولى مما تعذر بيان الارقام الصحيحة وعلى اي حال فالقطعات المحاصرة وأمريها كان لديهم من الواجبات المطلوب انجازها أهم بكثير من عدد الرؤوس وتقديم كشوف القوة العمومية .

كانت وسائل المواصلات الوحيدة بين الجيش المطوق والعالم الخارجي هي الطائرات واللاسلكي وفي البدء كانت توجد ثلاث او اربع مطارات في الجيب ، واستت بعد التطويق مباشرة شبكة مواصلات تلفونية لاسلكية خاصة اشتغلت جيداً في الايام الاولى وكان بإمكان الجنرال بولس المحادثة مع أمر جحفل الجيش (ب) بواسطتها .

هل كان ينبغي ان يقاتل الجيش السادس لفك تطويقه

بعد تطويق الجيش السادس مباشرة حاول كل من قائد الجيش السادس وقائد جحفل الجيش (ب) الحصول على موافقة هتلر على قتال الجيش السادس لشق طريقه وفك التطويق والاتحاق بالقوات الالمانية الرئيسية البعيدة غرباً ، وكان هتلر قد رفض قبل الان الموافقة على الانسحاب الذي بنيت خطته على تقدير موقف

عسكري التملورات المحتملة في المستقبل ، اما الان فقد اصبحت هذه التطورات واقعية وقد حسب كل من فايخز وبولس وقادة فيالق الجيش السادس ان هتلر سوف يواجه الحقائق الان ويعمل بمزجها ولهذا ومن دون انتظار لجوابه اصدرت الاوامر التمهيديّة للبدء بالحركات بدون تأخير حال استلام موافقته ، ولكن لم تكن هذه الموافقة قريبة المنال وقد بذلت قصارى جهدي يوماً بعد آخر لاقناع هتلر بوجوب السماح للجيش السادس بشق طريقه وفك تطويقه وناقشته الموضوع طويلاً كل ليلة تقريباً وكانت طبيعة المحادثات موضوعية وهادئة احياناً وحادة وصاخبة ترتفع فيها الاصوات احياناً أخرى . وكنت اذا ما صرخ بي اقباله بالمثل ببساطة وبهذه الطريقة الوحيدة يتسنى للمرء اسماع صوته له عندما يكون في احدى حالات هيجانه ، وقد حسبت مرة باني نجحت في مسعاي وبدا هتلر وكأنه على استعداد لتوقيع امر الموافقة على فك التطويق وتنفس الجميع الصعداء واصدرت التعليمات التمهيديّة لذلك الا ان هتلر ابى توقيع الامر وأجل ذلك مراراً كلما عرض عليه واخيراً اخبرني بعدوله عن رأيه ، فذهبت كافة مساعينا عبثاً واصبح لزاماً معاودة المناقشات الطويلة والمجالات والمخاضات ثانياً ، ومن السهل تصور مدى التصدع المعنوي الذي اصاب المسؤولين من كبار الضباط الذين كادت تنهار اعصابهم .

ولايضاح ماكان عليه الجو السائد في ذلك الوقت سأصف محادثتين هامتين اجريتهما مع هتلر واستطيع في بعض مراحلهما نقل الكلمات التي استعملت فعلاً : جرت المحادثة الأولى بعد التقاء ذراعي الكماشة الروسية بقليل فقد طالبت بمقابلة طويلة خاصة مع الدكتور هتلر فلي طلبني وقابلني في وقت متأخر من الليل وتحدثنا حتى الصباح وبدأت بشرح حقبة الموقف له مستخدماً الخرائط واوضحت التطورات المحتملة في المستقبل فقاطعني قائلاً ان الموقف سوف لايتطور كما

افترضت ان بل سيتبدل جوهرياً بهجوم الفرقة المدرعة القادمة من التوقاز
وباستخدام الدبابة الثقيلة الجديدة - النمر - .

كانت هذه فكرة جديدة ومثالية فالدفعه الاولى من دبابات النمر كانت
خارجة من الموامل لتوها ، وكان هتلر يعيل لاعتبار كل سلاح جديد صانع
معجزات ويعتقد انه لو ارسلت الدفعة الاولى من هذه الدبابات الثقيلة الى
المعركة كفوج فان هذه الوحدة ستجح في اختراق التطويق الروسي ، وكان يتقد
حماساً لخطته هذه التي يظهر انها فنته حقاً ومن المحتمل انه اعتقد فعلا بان
استخدام هذا الفوج الواحد سيغير مجرى المعركة بين عشيه وضحاها ، وبعينين
متوقدتين وبصوت عال حاول هتلر ان يبعث في حماسه ويبدو انه كان راغباً في
استحساني لخطته هذه : فقلت « انه صحيح حقاً ان النماذج الاصلية لدبابات
النمر قد قامت بعمل باهر ويمكن ان تتوقع منها اموراً عظيمة ولكننا لانعلم
بعد صمودها ازاء ظروف الشتاء الروسي كما انها لم تجرب بعد في المعركة
ومعلوم ان نواقص غير متوقعة ظهرت قبل الان في كفه الاسلحة الجديدة عند
استخدامها في القتال لاول مرة واقضى تلافى مثل تلك النواقص جهداً ووقتاً
طويلاً دائماً ولهذا لايمكننا ان نفترض ان دبابات النمر ستكون مرضية مائة
بالمائة منذ البداية وعلاوة على ذلك فليس لدينا الكفاية منها وقد يكون من
الممكن ان ينجح فوج واحد منها في اختراق الخطوط الروسية ويؤمن التماس مع
الجيش السادس ولكنه قد لايمكن من ابقاء المر مفتوحاً ، وازافة لذلك
يجب ان لايعرب عن بالنا انه عندما يتسنى استخدام الدبابات الجديده فعلا تكون
جهتنا قد اصبحت ابعد بكثير مما هي عليه الان عن جيش ستالينغراد وستكون
الحركات بسبب المسافات الكبيرة التي يجب سترها اكثر صعوبة واشكالا فيما لو
جرى شها في الحال » . واكتفيت بهذا القدر عن دبابات النمر واكملت

تقديرى للموقف وانتهت حديثي بهذه الكلمات « حيث لا يمكن نجاح الحركات المقترحة لانقاذ الجيش السادس فانه من الضروري اصدار الاوامر اللازمة حالا لهذا الجيش القيام بقتال انسحاب فقد حلت اللحظة الاخيرة الممكنة الان » .
غمر للغضب هتلر اثناء حديثي شيئاً فشيئاً وبصورة ملحوظة وحاول انهاءه ولكنى لم افسح له المجال لمقاطعتي لعلمي انها الفرصة الاخيرة لاقول مايجب قوله ولما انتهت حديثي قال صارخاً « سوف يبقى الجيش السادس حيث هو الان ، انه حامية حصن ، وواجب قطعات الحصن تحمل الحصار ، وعايها الصمود الشتاء كله عند الاقتضاء ، وسوف انقذها بتعرض ريعي » .

كان هذا ضرب من الخيال وعليه قلت :

« لست ستالينغراد حصناً كما ليس هناك من وسيلة لادامة تموين

الجيش السادس » .

فأشدت غضب هتلر كثيراً وصرخ عالياً :

« لقد قال مارشالى الرايخ غورنك بأنّه يستطيع تموين الجيش

السادس جواً . »

والان صرخت انا ايضاً وقلت « هذا هراء » فقال هتلر « انا لست بتارك

الفولغا » فقلت بصوت عال « سيدي انها جريمة ان يترك الجيش السادس في

ستالينغراد وتركه يعنى موت او اسر ربع مليون رجل ولا أمل في خلاصهم ،

وضياع ذلك الجيش العظيم يعنى تحطيم بناء الجبهة الشرقية باسرها »

شحب لون هتلر وظل ساكناً ورماني بنظرة جامدة وضغط زراً على منضدته

فحضر ضابط الخفر وهو من القطعات الخاصة (اس ، اس) وقال « استدع

المارشال كايتل والجنرال يودل » وخيم السكون علينا حتى حضرا وكان حضورهما

في الحال تقريباً ولا شك انهما كانا ينتظران في الغرفة المجاورة ومن المحتمل

انهما سمعا اصواتنا الصاخبة من خلال الجدران الرقمية لغرفة الخرائط واستطاعا
تكوين فكرة عن طبيعة تلك المشادة .

ادى كايتل ويودل التحية الرسمية وبقي هتلر واقفاً متجهماً وكان لايزال
شاحب اللون وان بدا هادئاً تماماً في الظاهر على الاقل وقال :

« علي ان اتخذ قراراً خطيراً وارغب قبل ذلك ان اسمع اراءكم ،
هل اخلى ستالينغراد ام لا ؟ فما هي وجهات نظركم ؟ »
انعتقد مايمكن ان يوصف بمجلس حرب وهو سياق لم يسبق ان اختاره
هتلر من قبل ، فقال كايتل وعيناه تومضان وهو واقف باستعداد عسكري
« سيدي لا تترك الفولغا »

اما يودل فقد تكلم بهدوء وموضوعية وهو يزن كلماته التالية وقال « سيدي
انه لقرار خطير حقاً هو مااستخدمه الان ، فاذا انسجنا من الفولغا فذلك يعني
التخلي عن قسم كبير من المكاسب التي حصلنا عليها بتكاليف باهضة في تعرضنا
الصيفي ، ومن الناحية الاخرى فان لم نسحب الجيش السادس فمن المحتمل ان
يتخرج موقفه ، كما قد تنجح الحركات المقترحة او قد تفشل ، ولغاية ما نرى
نتيجة هذه الحركات فان رأبي هو انه يجب ان نستمر في ضبط الجبهة على
طوار الفولغا »

ثم وجه هتلر كلامه نحوى قائلاً « دورك » وكان من الواضح انه كان يأمل
ان تكون كلمات الجزالين قد ادت الى تغيير رأبي ، ومع ان هتلر هو الذي
يعطي القرارات فانه كان يميل بغرابة للحصول على موافقة مستشاريه الفنيين
ولو بصورة شكلية ، أخذت وضع الاستعداد العسكري وقلت له بكل جدية
« سيدي : ان رأبي لم يتغير ، انها جريمة ان يترك الجيش السادس حيث هو فنحن
لا نستطيع انقاذه ولا ادامة تموينه انما نضحي به ببساطة وبدون جدوى . »

حافظ هتلر على هدوئه الظاهري والسيطرة على نفسه رغم انه كان يغلي غضباً في قرارة نفسه وقال لي : « انك ترى يا جنرال باني لست وحدي في رأيي وبشترك معي هذان الضابطان وكلاهما اقدم منك ولذلك فأني سوف اتمسك بالقرار الذي اتخذه » ثم انحنى بجفاء وانصرفنا .

اما المناقشة الثانية التي سأصفها بالتفصيل فقد حدثت في الليلة التالية ، اذ بالرغم من رفض هتلر قبول حججي بخشونة فإني لم اكن مستعداً للتخلي عن معركتي لانفاذ الجيش السادس وقد علمتني التجارب بوجود التصدي للمشكلة من زاوية اخرى ، لقد كان قرار هتلر الذي يبدو انه نهائي وقطعي قد استند على اعتبارات سوقية ولهذا فإنه من غير المفيد محاولة اثارة النقاش حوله ثانية في المستقبل القريب لانه سوف يرفض الاستماع لذلك دون ريب ، ومع ذلك فقد لا يسري هذا على الامور الادارية وكان عملياً لذلك أنه اذا فشل السوق كحجة فقد تنجح بذلك الامور الادارية وقد انجح في استمائه لطريقة تفكيري اذا ما استطعت اراءه موقف تموين الجيش السادس بالتفصيل واثبات عدم امكان تموين الجيش المذكور بطريق الجو بالاستناد على حقائق وارقام ثابتة علماً بان هتلر كان يتأثر دائماً بالاحصائيات ، وقد كان ضابط دائرة حركاتي ومختلف ضباط الشعب الفنية ذات العلاقة ومديرية الميرة والتموين للجيش مقتنعين جميعاً بعدم امكان صمود ستالينغراد وتعذر ادامة تموين جيش ستالينغراد بطريق الجو وقد اوعزت لهؤلاء تهيئة بيانات المواد التي استندوا عليها في استخلاص النتائج المذكورة على شكل جداول احصائية وغيرها وجداول اخرى تبين النقص الحاصل في مواد التموين ، والان لا يستطيع ان اعيد بيان الارقام الصحيحة من الذاكرة والتي قدمت من قبل ضباط الركن المختصين ولكني استطعت اجمالاً بيان الكمية الكلية المطلوبة من مواد التموين بعد احتساب المواد الموجودة فعلاً

داخل منطقة التطويق ، فقد كان الجيش السادس بحاجة لنقل جوي قادر على تسليم (٦٠٠) طن متري في اليوم الواحد كحد ادنى لبقائه على قيد الحياة وحتاج في ظروف اكثر حرماناً بالاستفادة من ذبح واكل خيوله الى (٣٠٠) طن في اليوم الواحد كحد ادنى يجب تأمينه كل يوم بغض النظر عن العوامل الخارجية كالأحوال الجوية التي لا يحتمل ان تكون ملائمة في مثل هذا الفصل وهذا يعني انه لا يمكن تزويد الجيش السادس بالحد الأدنى الذي يحتاجه بدون اي نقصان يجب القيام بنقل خمسمائة طن من مواد التموين جواً الى الجيش المذكور في كل يوم يساعد على الطيران ، وقد درجت هذه الحقائق بوضوح في جداول الأرقام التي دياها ضباط ركني الاز وحاملاً تم ذلك طلبت ذرة اخرى متابة خاصة مع هتلر فبين لي ساعة متأخرة من الليل وقابلني ببرود بنتيجة مناقشتنا في اليوم الماضي ومع ذلك فقد نجحت في اثارة اهتمامه بالأرقام التي وضعتها امامه وسمح لي باتمام الشرح اللازم لفهامه المعنى الكامل للبيانات الاحصائية وانهيت تقريرتي بالكلمات التالية « بعد تمحيصي للحقائق بالتفصيل توصلت الى النتيجة التي لا مفر منها وهي عدم امكان ادامة تموين الجيش السادس بطريق البحر . » فسرى الجمود بشكل هتلر وقال : « اكد لي مارشال الرايخ غورك بان ذلك ممكناً » فكررت قولي « بانه غير ممكن » وعند ذلك قال هتلر « حسناً سيخبرك هو بنفسه » ثم استدعى مارشال الرايخ غورك القائد الاعلى للقوة الجوية الألمانية وقل له « غورنك ، هل تستطيع ادامة تموين الجيش بطريق الجو ؟ . »

فرفع غورك يده اليمنى وقال بثقة واطمئنان « سيدي : اؤكد لك بان القوة الجوية تستطيع ادامة الجيش السادس . »

فرماني هتار بنظرة انتصار ولكني قلت ببساطة « من المؤكد ان القوة

الجوية لا تستطيع ذلك »

فبمس مارشال الرايخ وقال : « انك لست في موقف تستطيع فيه ان
تعاي رأياً في هذا الموضوع . »
فاتجهت نحو هتلر وسألته :

« سيدي هل لي ان اسأل مارشال الرايخ سؤالاً » فقال « نعم تستطيع »
فقلت « السيد مارشال الرايخ ، هل تعرف الاطنان التي يجب نقلها
كل يوم ؟ »

وكان من الواضح ان غورنك قد تأثر من ذلك وتطب وجهه وقال « انا
لا اعرف ولكن ضباط ركني يعرفون . »

ودنا قلت « بملاحظة مالدي الجيش السادس حالياً مسن مواد التموين
واحتياجاته الماسة بعدها الادنى وبتأخذه كافة تدابير الطوارئ الممكنة فانه يحتاج
تسليمه ثلاثمائة طن يومياً ، وحيث من غير الممكن الطيران في كل يوم كما
علمت ذلك في الجهة في الشتاء الماضي فبحني هذا انه يجب نقل حوالي خمسمائة
طن في كل يوم ملائم الطيران للمحافظة على معدل الحد الأدنى الذي لا
يمكن تقليله . »

فأجاب غورنك : « اني استطيع عمل ذلك »
وهنا فقدت زمام السيطرة على اعصابي وقلت :
« سيدي ان هذا كذب »

فخيم سكون رهيب علينا ثلاثتنا وغمرت غورنك سورة من الغضب ، ادنا
هتلر فقد اخذ ينقل بعصره بين واحد واخر منا بذهول ودهشة وقال لي اخيراً :
« لقد قدم لي مارشال الرايخ تقريره ولا خيار لي غير تصديقه وعليه انا
التزم بقراري الاصيل »

فقلت له :

« ان لي طلباً آخرأ »

فقال هتلر

« وما هو »

فقلت : هل لي ان اقدم لك تقريراً يومياً موضعاً فيه عدد الاطنان

المنقوله جواً الى الجيش السادس خلال الاربع والعشرين ساعة الماضية ؟

فاعترض غورنك قائلاً (لا علاقة لي بذلك) ولكن هتلر تجاوزه واذن لي

بتقديم ذلك التقرير وبهذا انتهى المؤتمر .

وهكذا ذهبت جهودي سدى مرة اخرى ، وكان كل ما حصلت عليه هو عداء

مارشال الرايخ غررنك وهنا وبالمناسبة يجدر بي ان ابين ان الكثيرين من ضباط

ركن القوة الجوية وامريها كانوا يشاركونني الرأي منذ البداية وقد عبر البعض

منهم عن شكوكه حتى كتابة ولكنهم لم يستطيعوا اقناع قائدهم الاعلى فجاهل

تقاريرهم وحرص كثيراً في عدم وصولها لهتلر .

فترة انتظار هجوم مانشتاين

وهكذا بامت بالفشل كافة محاولاتي لانقاذ الجيش السادس ولكني لم اقد

الامل بعد ، فهناك تطوران في المستقبل قد يحملان هتلر على تبديل رأيه وهما

فشل الهجوم الهادف لانقاذ الجيش السادس المحاصر ، وفشل القوة الجوية في

ادامة تموين ذلك الجيش ، وأحسن ما يؤمل من هذا الهجوم هو تقريب قواتنا

الرئيسية قليلا من الجيش السادس وبذلك تتحسن فرص قيامه بخرق الحصار

بنجاح ، واني لارجو ان يثوب هتلر الى رشده اخيراً ليرى ما فيه الصواب

حزماً تحين تلك اللحظة لحظة فشل الهجوم في تأمين هدفه الاساسي في الاتصال

بالجيش السادس ، واما عن النقل الجوي فاني أرجو ان اخلص هتلر بواسطة
تقريرى اليومى من الاوهام التى غرسها فى مخيلته غورنك وغيره .
انه لا بد من مضى وقت غير يسير قبل ان تواتى الظروف الملائمة التى قد
يمكن بعد تغيير رأى هتلر فيها للتخلى عن ستالينغراد ، والوقت يمضى سراعاً الان
فى غير صالح الجيش السادس ، وسوف يسوء موقفه بدرجة خطيرة فى خلال عشرة
ايام او خمسة عشر يوماً ، فمواد التموين خاصة المطلوبة لحرق الحصار وسيما
مواد الوقود منها أخذت تناقص سريعاً ، كذلك كانت الجبهة الرئيسية لجحفل
الجيش (ب) تدفع الى الوراء غرباً باستمرار وبذلك اخذت تسع المسافة
التي يقتضى على الجيش السادس سترها ، وكانت هاتان هما المشكلتان الرئيسيتان .
وفى غضون ذلك لم يبق لنا ما يمكن عمله سوى اجراء كل عصب فينا
سعياً وراء تقوية الجيش السادس او بالاحرى الحد من اضعافه وضممان شمن
دجوم الانقاذ فى اكثر الظروف ملائمة وباسرع ما يمكن ، ولقد افتتح هتلر على
الاقبل باعادة تنظيم سلسلة القيادة على طول القاطع الجنوبي للجبهة الشرقية ،
وتشكل جحفل جيش جديد دعى بجحفل الجيش « دون » بين جحفل الجيش
(أ) و (ب) وعين المارشال فون مانشتاين قائداً عاماً له ، وكانت فائدة هذا
الترتيب الجديد هي رفع بعض المسؤولية عن كاهل جحفل الجيش (ب) الذي
كان يسيطر على قاطع واسع جداً فى الجبهة ، واصبح بإمكان جحفل الدون لان
تركيز كافة جهوده على المعركة المقبلة لانقاذ جيش ستالينغراد دون ان يحيد عن
هذا الهدف فى النظر بمشاكل اخرى .

وفى ٢٧ / تشرين الثانى تسلم جحفل جيش الدون قيادة الجيش السادس
والجيش المدرع الرابع المكلف بالقيام بهجوم الانقاذ والجيشين الثالث والرابع
الرومانيين الذين تمهقروا الى الغرب والذين يشغلان الان القاطع المقابل لستالينغراد

في الجبهة الرئيسية .

اما اوامر هتلر التي صدرها لجحفل الجيش دون فكانت انعكاساً واضحاً لارائه التي سبق وبينها لي وهي « وجوب الاحتفاظ بستالينغراد واعادة تأمين الاتصال بالقوات الالمانية الموجودة فيها بالهجوم » وقد ادرك مانشتاين لاول وهله ان الاوامر التي تلقاها لايمكن في الواقع تنفيذها وشرح رأيه الخاص بذلك في تقرير واضح قدمه لهتلر تضمن « ان يقوم الجيش السادس بخرق الحصار باتجاه الغرب مؤقتاً حركاته هذه مع هجوم الانقاذ وبذلك تكوين جبهة جديدة بعيداً الى الغرب » وهكذا اعاد مانشتاين بشكل معدل الاراء التي سبق وبينها انا وقائد جحفل الجيش (ب) ، ومع ذلك فقد ظل هتلر متصلباً في رأيه ولم يخول مانشتاين صلاحيات قيادة حركات الجيش السادس ، ولكنه حاول من الناحية الاخرى تخفيف وقع ذلك عليه فوعده بمدد بقوات اضافية لاسناد هجوم الانقاذ يسحب بعضها من التوقاز والبعض الاخر من ميادين القتال الغربية ومع ان هذه القوات كانت ذات فائدة لمانشتاين حقاً الا انها قد تصل متأخرة جداً بالنسبة للحركات التامة ، ولقد بذل مانشتاين قصارى جهده لتنفيذ الاوامر التي تلقاها رغم الاعتراض على خططه ، ومن الجدير بالذكر ومن دون الدخول في تفصيلات لايجل لها هنا ان هيئة ركن جحفل الجيش « دون » بذلت ما باستطاعتها لضمان شن الهجوم في اكثر الظروف ملائمة وبدون تأخير ، وكان مانشتاين يأمل ان يبدأ الهجوم بين الثامن والعاشر من كانون الاول . اما النقل الجوي فكان يسير اثناء ذلك بطريقه الى ستالينغراد وكانت تقارير اليومية لهتلر تبين مدد الاطنان المنقولة جواً بـ ١١٠ اطنان و ١٢٠ طناً و ١٤٠ طناً احياناً ونادراً ما زاد العدد عن الرقم الاخير وكان اعتيادياً يقل كثيراً عن الرقم الاول وبذلك لم يؤمن نقل الحد الادنى اليومي ناهيك عن الخمسمائة طناً التي وعد بها

مارشال الرايخ كما لم تصلاي مواد تموين لعدة ايام مطلقاً كما كان متوقفاً . وهكذا لم تومن احتياجات الجيش السادس الاساسية ولم يقع هذا بسبب تقصير نوتية الطائرات وامريهم المباشرين الذين بذلوا قصارى جهودهم انما بسبب تعهد غورنك بالقيام بواجب هو فوق طاقة القوة الجوية الالمانية ، غير ان غورنك اوجد اثناء محادثاته اليومية مع هتلر بتحسين الحال وادعى بان النقل الجوي لازال في بدايته الان وسيجري خلال ايام قليلة على ما يرام وانه سوف يستطيع البر بوعده حتماً ، وقد قبل هتلر هذه الاعذار واخذ يرددها للاخرين بقوله « ان مارشال الرايخ قد اعطاني كلمته ، انه يهيء تنظيمها احسن وانه سوف يجلب عدداً اكبر من الطائرات ، اما في الحقيقة فكان الموقف يزداد سوءاً ، فالجبهة الرئيسية مندفة الى الغرب باستمرار ويعنى ذلك تكرار تبديل المطارات التي كان يجري منها النقل الجوي لمواد التموين الى ستالينغراد وازدادت المسافات وتحتم على طائراتنا الطيران عبر نطاق من الاراضي التي يحتلها العدو واخذت تزداد اتساعاً يوماً بعد يوم وازداد تساقط طائراتنا اكثر فأكثر ، وكان من الطبيعي ان لاياغت هذا القادة العليا اذ لا بد من وقوعه وكان مما يجب اخذه بنظر الاعتبار عند وضع خطط النقل الجوي وقد سبق واشرت الى حتمية وقوعه في مرحلة مبكرة جداً .

وتمت اخيراً التحضيرات اللازمة للهجوم الهادف لانقاذ ستالينغراد وكان الجميع بانتظار الشروع به باهتمام وخاصة قطعات الجيش السادس ، وكانت كافة الوحدات القادمة من القوقاز في مواضعها تقريباً ووصلت بعض التقريبات من المانيا وانيطت القيادة العامة الى الجنرال « هوث » قائد الجيش المدرع الرابع وكانت بامرته ثلاث فرق مدرعة كاملة القوى تقريباً وقوة قليلة من المشاة لستراجنته وبعض قطعات المقر العام بضمنها فوج دبابات النمر وكانت هذه القوة

ضعيفة جداً للقيام بالوجب المعهود اليها والالئكى من ذلك ان لا يؤمل امكان انفتاحها بالعمق اللازم .

اما الضروف التي شن فيها الهجوم فلم تكن ملائمة ، وكانت نقطة الانطلاق في جوار (كوتيل نيكوفو) على بعد حوالي ستين ميلا عن ستالينغراد وقد ادرك الروس ان هذه هي اضعف نقطة قابلة للعطب وفي الحقيقة كانت هذه هي اضعف نقطة قابلة للعطب على طول الجبهة وسوف يتصرفون وقتماً لذلك ، وما على « هوث » الا ان يتوقع مجابهة مقاومة عنيفة وحازمة ، ومن الناحية الاخرى ادرك قادة قطعات الجيش المدرع الرابع مدى اهمية هذا الهجوم بالنسبة لانقاذ جيش ستالينغراد وانهم سوف يذلون ما بوسعهم لانجاحه كما لن يترددوا عن اية تضحية .

الهجوم لانقاذ الجيش السادس

بدء الهجوم في يوم ١٢ / كانون الاول وقد انتظرنا جميعنا ورود التقارير الاولى بقلق شديد ، وقد سارت الامور في بادىء الامر على ما يرام وتقدم الجيش المدرع الرابع بعزم ، وفي يوم ١٨ / منه كانت قطعات هوث على بعد يزيد قليلا عن اربعين ميلا عن الحدود الجنوبية لحصن ستالينغراد المزعوم وفي يوم ١٩ / منه وصلت القطعات الى خط نهر مهم هو « ميشكوف » وتم عبوره يوم ٢٠ / منه وفي يوم ٢١ / منه اصبحت ستالينغراد على بعد ثلاثين ميلا فقط وتوقف الهجوم هناك واستنفذ زخمه ، وكانت القطعات قليلة العدد ومتعبة للغاية ويتعذر تموينها الا بصعوبة بالغة . ولا يمكن بالشجاعة والعزم وحدهما التعويض عن نقاط الضعف هذه فضلا عن ان الروس قد جمعوا قوات كبيرة باتجاه محور تقدم الجيش المدرع الرابع ، وبالرغم من سيل الاوامر من القيادة العليا وحشها المتواصل فلم يمكن

استأنف التقدم اذ ان ذلك يتطلب اشراك قوات جديدة بالمعركة ولكن لم يتيسر اي شيء منها ، وانتظرت باهتمام رد الفعل من هتلر الذي كان قبل شن الهجوم يجيب اجابته الثابتة وبدون تغيير كلما طلب منه التعجيل بتحويل الامر للجيش السادس بخرق الحصار وهي « فلنتظر ونرى ماينجره الجيش المدرع الرابع » ، وكان بعد الانتصارات الاولى في الايام القلائل الاولى في نشوة بالغة ويتجح بصواب قراره كلياً وكان من غير الممكن في هذا الوقت حقاً ان يجيز قيام الجيش السادس بخرق الحصار ، ولكن حتى في هذه الايام القلائل التي لاحت فيها بشائر النجاح كنت اعتقد ويعتقد معي كافة الامرين في الميدان اتفاقاً بان خرق الحصار هو الوسيلة الوحيدة الممكنة لانقاذ الجيش السادس من الابداء المحتمه ، غير ان هتلر استعاد ثقته كلياً بنتيجة هذا الانتصار الموقت واخذ لا يتكلم عن الوصول الى ستالينغراد فحسب بل وعن مسك خط الفولغا كله ايضاً وأصبح يعتقد كما يبدو ان من الممكن اعادة بناء الجبهة على سابق عهدا قبل قيام الروس بتعرضهم الكبير ، وكان اصماً نحو كافة تقديرات الموقف الموضوعية ولا يدرك انه سيكون مصير مثل هذا الهجوم الضعيف نحو هدف واسع كثيراً الفشل مالم يعزز كثيراً ويؤمن تموينه جيداً ، كنا لم يكن بالامكان اقتناعه للامر باتخاذ التدابير المقتضية عند فشل الهجوم .

ولما توقف الهجوم على بعد ثلاثين ميلا من ستالينغراد ادرك كافة الخبراء في الحال انها النهاية عدا هتلر حيث قال لنا « انتظروا لتروا ولسوف يستأنف التقدم حتماً » ولكنه لم يستأنف وفي ٢٣/كاون الاول انتهى امره . وكانت هذه اللحظة هي اللحظة الاخيرة حقاً والتي لازال بالامكان انقاذ الجيش السادس فيها .

- الفرصة الاخيرة -

لقد بذلنا انا والمرشال فون مانشتاين كل ما بوسعنا مرة اخرى لاقناع هتلر باصدار الامر للجيش السادس بخرق الحصار فأبى ، ولو كان قد تم ذلك لاستطاع الجيش المذكور من خرق الحصار حتماً باندفاع الجنود بشجاعة اليأس واستبسالهم ولا يمكن تجنب الكارثة النهائية ، وقد قضيت عدة ساعات صعبة هتلر في كل ليلة تقريباً محاولاً استمالة الى الطريق السوي ، ولم تكن مشاهد هذه المحاولات في جوهرها الا اعادة لتلك التي سبق لي وصفها قبلاً ولذلك سوف لا ادخل في التفاصيل المتعلقة بالمشادات والمخاصمات والهياج المتبادل المتأتي منها انما سأذكر حادثتين يدوان لي كموذجين .

ففي احدي المناسبات اعتقدت اني نجحت باستمالة هتلر الى طريقي في التفكير عندما قال « حسناً جداً هيء رسالة الى بولس تسأله فيها عن مدى ما يستطيع الوصول اليه فيما لو امر بخرق الحصار » فتنفست الصعداء وبادرت بكتابة مسودة الرسالة فوراً وبحضوره خشية ان يبدل رأيه وقدمتها له لتوقيعها ، فقرأها واخذ قلماً وادخل عليها الكلمات التالية « في حانة استمرارك على مسك خط الفولغا » وهذا كما هو واضح قد بدل غرض وطبيعة الحركات المقترحة ، وكنت اشعر في مثل هذه المناسبة احياناً بانني اكاد اجن ، وعلى اي حال فقد ارسلت الرسالة وجاء جواب بولس في الحال تقريباً وهو عشرون او خمسة وعشرون ميلاً كما اعتقد اذ نسيت العدد بالضبط وعلى كل حال فان ذلك يقصر المسافة التي تفصله عن طلائع هوث ، اما هتلر فقد ذكر في مؤتمر اليوم التالي الذي حضره جمع كبير من الضباط مايلي « لقد ارسلت رسالة الى بولس اسأله عن مدى ما يستطيع الوصول اليه فيما لو امر بخرق الحصار فأجاب « بيان قطعاته تستطيع

التقدم لمسافة عشرين او خمس وعشرين ميلا فقط » وعلى هذا فليس هناك من جدوى في الامر بالقيام بمثل هذه الحركة « فأجبت « ولكنك ياسيدي اشترطت عليه الاستمرار بمسك الفولغا فشحج لونه وامتعض ولم يجب » .

وطلبت في مساء اليوم التالي مقابلة خاصة وتوسلت اليه الاذن بالقيام بالخرق وبينت له ان هذه هي فرصتنا الاخيرة لانقاذ المأتى الف جندي من جيش بولس فقال هتلر « هل تستطيع ان تضمن بان جميعهم سيتمكنون من الافلات مع كافة اسلحتهم » فأجبت .

« لا يستطيع احد ان يضمن ذلك ولكني استطيع الجزم بانهم سيادون باجمعهم وستضيع كافة اسلحتهم الا اذا اعطى لهم الامر بخرق الحصار في الحال » ولم يأبه هتلر لذلك وذهبت اقوالي سدى في بحث الظروف السائدة في الحصن المزعوم من اليأس المخيم على الجنود الجياع وفتقدمهم الثقة في القيادة العليا وموت الجرحى لعدم وجود الرعاية اللازمة وفي الوقت نفسه موت الآلاف من الانجماد ، ولم يتأثر هتلر بمثل هذه المناقشة كما لم يتأثر لغيرها مما سبق لي وقدمت ، وحيث لم تفلح اقوالي في اثارته فقد كنت ارجو ان استطيع ارائته بام عينيه ما كان يجري في جيب ستالينغراد فأقترحت عليه ان أطيير معه الى مقر جحفل جيش دون لكي يرى ما كانت عليه الاحوال في الجبهة على الاقل فرفض هذا الاقتراح ، ثم اقترحت ان تطير نخبه من الضباط من ستالينغراد لتشرح له الاحوال السائدة هناك حسب معلوماتها الخاصة المباشرة فرفض هذا الاقتراح ايضا ، والواضح حقيقة انه كان يفضل ان لايعرف ماجرى داخل الجيب تماما ، فبادرت وعلى مسؤوليتي بارسال رسالة الى مقر الجيش السادس طالبا فيها ان يطير الجنرال هيوب من ستالينغراد ، وكان هتلر يكن لهذا الجنرال اسمى آيات الاحترام وبصفة خاصة ولذلك فهناك أمل على الاقل بإمكان استماع هتلر

لما سيقوله ، ولقد رأيت هوب قبيل مقابله لهتلر فسألني عما اذا كان باستطاعته بيان الحقيقة للقائد الاعلى وكان كما يظهر قد سمع الاشاعة الراجحة في ذلك الوقت وهي عدم امكان اخبار هتلر بالحقائق ، فطمنته ان هذا غير صحيح وانما يجازف من يخبره الحقيقة باثارة غضبه والتعرض لما قد يشينه ، وهي مجازفة يحجم الكثير عن مجابته ، وهنا قلت لهيوب بأنه ليس لك اخبار هتلر بالحقيقة فحسب بل ويحتمه الواجب عليك .

ولما قابل الجنرال هوب هتلر بدأ الدكتاتور كعادته بمحاولة استمالة زائره لجانبه فقال انه عارف بالظروف الصعبة جداً السائدة في الحصن ، وبالتقل الجوي الذي لم يكن فعالاً كلياً بعد واسترسل هتلر وقال مهما كان فانه اتخذ التدابير اللازمة وسوف يطرأ تحسن ملموس قريباً وتحدث هتلر لفترة من الوقت محاولاً بهذا الاسلوب رد اي مجادله قد يثيرها هيوب وأخيراً سمح لهيوب بالحديث فشرح الموقف على حقيقته بوضوح وجدية ، ولا نبالغ ان قلنا انه كان يتوسل اليه لانتماذ جيش ستالينغراد دون جدوى ، فأدرك هيوب ذلك واستشاط غضباً ، وكان هيوب صريحاً وقال أخيراً « لقد فشل النقل الجوي ويجب ان يقع اللوم على بعضهم ياسيدي ، ولماذا لاتعتمد احد قادة القوة الجوية ؟ فقد اعدم حتى الان قادة الجيش وخدمهم لاطوائهم وقد حان الوقت لتعطي القوة الجوية جرعة من نفس ذلك الدواء » فضاقت هتلر ذرعاً بهذه الملاحظة (وقد سمعته فيما بعد يذكرها له غورنك بقوله « لقد سألتني لماذا لم اعدم احد قادة القوة الجوية ، وعلى تحمل هذا النمط من الامور ! » فوضع حداً لهذه المحادثة بقوله « ان لدي معلومات دقيقة عن الحصن ومصاعبه وفي الحقيقة لا يستطيع احد ان يدافع بقوة من اجل جيش ستالينغراد اكثر من رئيس اركانني » وهكذا لم تنجز زيارة هيوب شيئاً عدا تكرار الضمانات الباطلة الاعتيادية ، وكانت النتيجة الوحيدة منها هي تأليف حياة

جوية خاصة برئاسة المارشال ميلش للتسيق والسيطرة على النقل الجوي الى ستالينغراد ولم يؤد ذلك الا الى تغيير طفيف جداً في الوضع لان التدابير الجديدة لم تأت متأخرة فحسب بل وكانت فوق طاقة القوة الجوية الالمانية لادامة تموين جيش كامل في موسم الشتاء كما تنبأ بذلك حقيقة الكثير من ضباط القوة الجوية .

الموقف في اواخر كانون الاول

وهكذا اشرفت سنة ١٩٤٢ على نهايتها وكان البلاغ الرسمي للقوات المسلحة بشير الى قيام قواتنا في منطقة ستالينغراد بهجمات قوية بينما كان الموقف في الواقع يتطور لغير صالحنا بدرجة بالغة اذ كان جحفل الجيش « دون » غير قادر على مقاومة الضغط الروسي واندفعت جبهته الى الخلف ، كما لم يقو الجيش المدرع الرابع على الاحتفاظ بالمواضع التي سبق ووصلها في ٢١/كانون الاول وازدادت المسافة بين قطعاته الامامية وستارات الجيش السادس مرة ثانية لاكثر من ستين ميلا ، ووسع الروس تعرضهم الشتوي الى اقصى الشمال الغربي فقد مجموا على الجيش الايطالي الذي كان يشغل قاطعه بين الرومانيين والهنغارين ودحروه كما اصبح الهنغاريون في خطر ايضاً ، وقد ادت هذه التطورات الى زيادة حرجة الموقف في اقصى الجنوب من الجبهة الرئيسية ، كما ساء الموقف في حصن ستالينغراد رغم عدم قيام الروس بأية هجمات رئيسية مباشرة بهد ، وكان النقل الجوي غير واق بالغرض كلياً وسرعان ما اصبح العجز اكثر مضاعفاً وقلصت ارزاق القطعات المرة بعد الاخرى واضحت غير كافية لابقاء الجنود على قيد الحياة لاي فترة من الزمن ، ومع ذلك فالواضح ان لامناص من تبليص جديد عما قريب ، كنا ان فشل هجوم الجيش المدرع الرابع قد اوهن مزائم الامرين وقطعاتهم معاً داخل الجيب ، وزادها وهناً زيف ما شجعوا عليه في الامل والاعتقاد

بان ارساليات التموين هي بطريقها اليهم ، اما الاحوال السائدة في الجيب فلا
يمكن وصفها وسيما من قبل من لم يشهدا هناك وقليل ممن كانوا هناك نجوا
وعاشوا ليتحدثوا عن قصتهم ، وقد حرصت ان يكون هتلر على علم تام بمجريات
الامور باستمرار فلم يفوت عليه شرح اي شيء او يخفى عنه اي تفصيل ، ولكنه
كما يبدو لم يتأثر كلياً بالمأساة الماثلة وقد تمسك ظاهراً بفكرته الاصلية زاعماً
بان قراره في الاحتفاظ بستالينغراد هو اصح قرار بالنسبة لتلك الظروف مبرراً
زعمه ان بمسك ستالينغراد ثبت الجيش السادس تشكيلات روسية كبيرة وبذلك
حيل دون قيام العدو بحركات واسعة النطاق في اماكن اخرى وتمكنا من تكوين
خط جبهة جديدة ومستقرة . وكان ردى لهذه الحجج بالقول « ان أدار الروس
حركاتهم بصورة صحيحة - والمفروض انهم فاعلون - فانهم سيتركون اقل عدد
ممكن من الفرق لمحاصرة جيش ستالينغراد دون الهجوم على حصن ستالينغراد
في المستقبل القريب مطلقاً ويستمرؤا بالاندفاع غرباً باكثر قواتهم وبذلك يرغم
جنودنا في ستالينغراد على الرضوخ لمصيرهم المحتوم دون اي قتال حتى في معركة
واحدة فيقعوا غيمة باردة بيد العدو كسقوط الفاكهة الناضجة من الشجر ،
وقد صحت هذه النبوة فعلاً ولكن هتلر تمادى بغيه وراح يشجع القطعات
المطوقة على الصمودحتى ما بعد فشل هجوم الجيش المدرع الرابع فارسل لهم
رسالة السنة الجديدة وقال فيها «أعدكم بأنا سوف لانا لوا جهداً لانقاذكم» وقد
حرر هذه الرسالة هتلر بنفسه وجاءني بها مساعده الاقدم لابعثها الى الجيش
السادس فرضت ذلك ولم ارغب يارسال رسالة هي في الواقع غير صحيحة فقال
لي المساعد الاقدم ان هتلر ، شدد بأمره لارسال هذه الرسالة وانه ملزم بأخباره
برفضي ارسالها ولكني لم اترجع واخيراً ارسلت الرسالة الى ستالينغراد عن غير
طريقي والغريب ان هتلر لم يستدعني لمحاسبتني عن ذلك حتى ولم ينوه عنها .

اما في القوقاز فقد اخذت كارثة ثانية مماثلة لكارثة ستالينغراد طريقها للظهور منذ حوالي اواسط كانون الاول وسأشير اليها باختصار لصلتها الوثيقة بـ ستالينغراد وبالمصير النهائي للقوات الالمانية في القوقاز ، ففي هذا الطرف الجنوبي الاقصى للجهة الشرقية كان قد توقف تعرضنا الصيفي كلياً منذ زمن طويل عدا بعض الهجمات المحلية التي استمرت لفترة من الزمن ثم اضطرت القيادة الالمانية اخيراً للتحويل الى الدفاع في كل مكان من هذا القاطع واخذ نجاح التعرض الروسى الشتوي غرب وجنوب ستالينغراد يهدد الان موضع القوقاز باكملة ، وقد بادرت في اوائل كانون الاول بالقات نظر هتلر الى الخطر الداهم هناك فأبى استخلاص النتائج الواضحة من الموقت المتطور ، فالتقدمت الروسية الاخرى غرب ستالينغراد في كانون الاول وفشل هجوم الجيش المدرع الرابع وصدته نهائياً خاصة زادت كثيراً كلما من الخطر المحقق بجحفل الجيش (أ) في القوقاز ، وبظنرة الى الخارطة نرى انه اذا ما استمر الروس في تقدمهم فانهم سرعان ما يصلون الى منطقة روستوف واذا ما استولوا على روستوف فسوف يتهدد جحفل الجيش (أ) بخطر التطوق وشيكاً ولذلك اقتضى اتخاذ تدابير وقائية مسبقاً فرتبت بالاتفاق مع متمر جحفل الجيش (أ) تهيئة خطة مفصلة للغاية لانسحاب جيشي الجحفل المذكور الجيش السابع عشر والجيش المدرع الاول نهائياً وذلك دون علم هتلر الذي لو علم لكلفني ذلك رأسى ، واستهدفت من ذلك تامين تنفيذ امر الانسحاب عند صدوره حالا ، ورغم ما يحف الكثير من الامور من الغموض في ذلك الوقت كان امر واحد لا لبس فيه وهو اذا ما قدر واصدر الامر بانسحاب جحفل الجيش (أ) من القوقاز فانه سوف يصدره في اللحظة الاخيرة المسكته وعندها يكون لكل دقيقة حسابها ولاي تأخير عند وضع الخطط اثره في تقرير مصير جحفل جيش القوقاز ، وكنت قد قمت عند فشل محاولة انقاذ ستالينغراد بمحاولة ثانية لاستحصال موافقة

هتلر باخلاء القوقاز فأبى الإصغاء الي في حينه وفي مناسبات اخرى خلال الايام القليلة التالية كلما اشرت الى هذا الامر الهام واخيراً وفي حوالي نهاية كانون الاول بدى وكأنه على استعداد لسماع ما اقول وكنت على انفراد معه فشرحت له الموقف في الجنوب وانيت قولي بالكلمات التالية « اذا انت لم تأمر بالانسحاب من القوقاز الان فستكون لنا ستالينغراد ثانية قريباً » فاطر ذلك بهتلر كما يبدو وحسبه مال لذلك فما كان مني الا انتهاز هذه اللحظة الى اقصى حد فتم لي ذلك فعلا واغتصبت موافقته مكرهاً فقال اخيراً حسناً انطلق واصدر الاوامر « فتركت الغرفة فوراً ولكنني لم ابتعد كثيراً وخابرت من غرفة جلوسه الخاصة واعطيت امر الانسحاب مع طلب اضافي لنقل الامر الى القطعات حالاً والشروع بالانسحاب فوراً وما كان قيامي بذلك الا خوفاً من تردد هتلر وقد تحتمق ذلك في الحال فما ان رجعت الى مقرري في فترة تقل عن نصف ساعة حتى وجدت احد ضباط ركني بانتظاري ليخبرني بورود رسالة تلفونية عاجلة للاتصال تلفونيا بهتلر فوراً فرفعت سماعة التلفون وانا عالم تماماً بما ينتظرني منه فقال : « لا تقم ياى عمل الان بصدد الانسحاب من القوقاز وسوف نبحث الامر ثانية غداً » وكان معنى ذلك طبعاً بداية سلسلة من التأجيلات المتتالية لا تنتهي الا بعد فوات الاوان ونظراً لما تم استطعت ان اقول « سيدي لقد فات الاوان فلقد ارسلت الامر من مقرك ووصل الى قطعات الخط الامامي فعلا وشرع بالانسحاب فاذا الغى الامر الان عم الارتباك بفضاعة فاتوسل اليك تجنب ذلك » فتردد هتلر وقال « حسناً اذن فلنتركه عند هذا الحد » وهكذا نجحت في انقاذ الجيش المدرع الاول والجيش السابع عشر من المصير الذي حل بالجيش السادس ، وقد برهنت الاحداث اللاحقة على انها كانت في الواقع اللحظة الاخيرة الممكنة لشروع انسحاب ناجح من القوقاز وهكذا لم تذهب جهودى هنا ذلي الاقل بسدى .

الروس يطلبون استسلام ستالينغراد

لو اني سئلت عن التاريخ الذي اشر بداية النهاية لجيش الجنرال بولس السادس لقلت انه ٨/كانون الثاني/١٩٤٣ وهو التاريخ الذي ارسل فيه الروس مبعوثهم الى حصن ستالينغراد ليطلب استسلامه رسمياً ، اما من وجهة النظر الاخرى فلقد تقرر مصير الجيش السادس بالطبع حال تطويقه ومنعه من القيام بخرق الحصار ، وادرك ذلك كل ذي بصيرة عدا هتلر الذي اعماه عناده ، اما الشعب الالماني فانه لم يخبر بحقيقة الموقف واخفت عنه القيادة الالمانية العليا مصير الجيش السادس المحتوم الى قبيل دنوه من نهايته وسوف اتطرق لذلك كثيراً فيما بعد .

شرع الروس بهجومهم على المحيط الخارجي لحصن ستالينغراد في الايام الاولى من شهر كانون الثاني /١٩٤٣ ، ويحتمل ان القيادة الروسية العليا قد اعتقدت بان جحتمل الجيش « دون » قد دفع لمسافة كافية الى الغرب فاصبح بإمكانها القضاء على جيب ستالينغراد دون ان تخشى من مداخلة القوات الالمانية الاخرى اما ما دعى الروس لاتخاذ قرارهم لشن هجومهم في ذلك الوقت بدلا من مجرد الانتظار لانهار الجيب تلقائياً وبدون ان يتكبدوا خسائر فلا يعرفه الا القادة الروس وحدهم ومن المحتمل انهم قد تأثروا بثلاث اعتبارات هي -اولا- اعتقادهم بان حركاتهم في المستقبل سوف تتعرقل بدرجة خطيرة الى ان يجهز الوقت الذي يستطيعون فيه السيطرة على مركز المواصلات الحيوي الذي تكونه ستالينغراد - ثانياً - من الممكن انهم ادركوا بان انسحاب الطوعي من القوقاز قد قضى على امكانية عزل جحتمل الجيش (أ) وتطويقه - ثالثاً - لاريب ان استخباراتهم قد اخبرتهم بان مواد التموين المدخرة في الجيب قد استنفذت

تقريباً وان النهاية وشيكة ، ويبدو ان الاعتبار الاخير هو اكثر التفسيرات احتمالاً وعلى اي حال فقد رأت القيادة الروسية العليا ان قد حان الاوان لتصفية الحساب مع الجيش السادس وقد حاولت قبل شن الهجوم ضمان استسلام ذلك الجيش بشروط دون لراقة دماء اخرى ، ففي ٨/ كانون الثاني دخل مبعوثوها الحصن ومعهم طالب الاستسلام موجهاً الى الجنرال بولس وموقفاً من الجنرال الروسي قائد جبهة الدون . وكان ذلك الطلب وثيقة طويلة وصف بها القائد العام الروسي موقف الجيش السادس المطوق الميئوس منه ووعد انه اذا استسلم الجنود فإنه تضمن لهم الحياة والامان والعودة الى المانيا او الى اي بلد اخر جاءوا منه حال انتهاء الحرب وانتهت الوثيقة بالتهديد والوعيد بانه ان لم يستسلم الجيش الان وفقاً لهذه الشروط فسوف يباد برمته وفي حالة رفض هذا العرض فسوف يتحمل قائد الجيش السادس المسؤولية الكلية للنتائج المترتبة في المستقبل وحدد وقت معين للجواب هو الساعة العاشرة من صباح يوم ٩/ كانون الثاني ١٩٤٣ .

اتصل بولس بهتلر في الحال وطلب تخويله حرية العمل فرفض طلبه بخشونة في التو ، وانه لمن الصعب تصوير حالة هتلر النفسية في ذلك الوقت ولكني ساحاول وصفها كما رأيتها ، فكان كالعادة كثير المراوغنة واضفى على مظهره الخارجي بما ينم عن الثقة بنفسه وعن تأكده حقاً بانتهاء معركة ستالينغراد وكما يرام واخفى خلجات نفسه الحقيقية حتى لم يلحظ مشاعره الدفينة الا الذين عرفوه عن كتب ورافقوه باستمرار واطلعوا على مزاجه المتغير من خلال ما كان يكشفه عن طويته بعبارات عابرة في اغلب الاحيان ، ومع ذلك فقد اوعد برسالة عيد الميلاد التي بعثها الى جيش ستالينغراد بانه سوف ينجدهم ويخلصهم من ايدي العدو ، كما اخبر بقية القوات المسلحة الالمانية والشعب الالمانى المرة تلو الاخرى باهمية صمود وعزم جيش ستالينغراد للاحتفاظ بالجهات الاخرى سالمة

ولا زال الحال كذلك الان وسيتوج دفاعهم البطولي بالنصر والغريب منه ان يبدى
تمسكه بوجهة نظره هذه عند حديثه معي او مع المارشال فون مانشتاين قائد
جحفل الجيش « دون » ولكنه من المحتمل انه صرح الجنرال يودل اقرب
العسكريين الموثوق بهم اليه بانه لم يعد يعتقد بإمكانية انقاذ الجيش السادس .
وقد قال الجنرال يودل اثناء محاكمته في «نوربيرغ » اني اشعر بأسى عميق نحو
الجنرال بولس الذي لم يعرف بان هتلر اعتبر جيشه مفقوداً منذ اللحظة التي بدأت
تهب فيها اولى عواصف الشتاء على ستالينغراد ، اما تلك الاسباب الدعائية الصارخة
لتبرير الاحتفاظ بستاينغراد فانه من المحتمل انها لم تمثل حقيقة افكار هتلر التي
تجاوزها فقد كان اسير اعتقاده العنيد بانه « حيثما وضع الجندي الالماني قدمه
فانه يبقى هناك » و « اننى لست تاركا الفولغا » وكان يرد ذلك مراراً و « عندما
نقاتل الروس فلا تفكير في الاستسلام » . وفضلاً عن ذلك انه تصرف منذ
البداية بخلاف نصيحتى ونصيحة قادة جحافل الجيوش المسؤولين بصورة مباشرة
وهو لا يقر الان بارتكابه اي خطأ ، وكان ذلك حقيقة الحجز الاساسي لمآلته
النفسية الراهنة وهو بالطبع اذكى من ان يكشف ذلك لجنوده او للشعب الالماني
واستغل جهاز الدعاية لطمس حتمية الامر ، ويحتمل انه اخفى مشاعره الحتمية
عن الآخرين حتى المقربين اليه ، ولكن هل كان يشعر بتأنيب الضمير ؟ وهل كان
يدرك جسامة الكارثة التي كان مسؤولاً عنها ، وهل تأسف على مئات الآلاف من
الجنود الذين حكم عليهم ظلماً بالموت او بالاسر الروسي ؟ وهل تألم من وخزات
تبكيت الضمير ؟ واحسب ان الجواب لهذه الاسئلة هو سلباً حتماً ، فقد كان
ينقصه ذلك النوع من التصور الذي يساعد الانسان على مشاركة الآخرين الامهم ورغم
تكرار هتلر الممل لقوله انه سبق وقاتل شخصياً في الخنادق في الحرب العالمية

الاولى وانه لذلك يتحسس ما يشعره الجنود في الجهة في الحرب الثانية ، ولكنه لم يخنو عليهم كما كان يشير باستمرار الى الليالي التي لم يذق طعم النوم فيها وكانت مثل هذه الملحوظات نماذج صارخة لرغبته غير المخاصة في التأثير على الاخرين ، وهذا مايفسر اسباب رفضه الحشن لطلبي وطلب قائد جحفل الجيش تخويل الجنرال بولس حرية العمل وكان جوابه الوحيد لطلباتنا المتكرر هو كلمة « لا » بخشونة وعدم لباقة ، ولعلمنا بجبروته العنيد حاولنا تخفيف الامر عليه حيث لم نسأله اصداره الامر شخصياً بالاستسلام او حتى التحويل بذلك وهو مالا يطيقه انما جل ماطلبناه هو ان يمنح بولس الحرية ليعمل ما يراه مناسباً وعندها يستطيع بولس الاستسلام على مسئولية الخاصة ولكننا لم نوفق حتى في الحصول على هذا التحويل منه وهكذا انتهى الوقت المحدد من قبل الروس ورفض عرضهم لقبول الاستسلام بشروط خاصة دون اراقة دماء اخرى وكانت للتائج الوخيمة لذلك اصداء عميقة وطويلة الامل .

الصولة الروسية

صبت المدفعية الروسية في الصباح الباكر ليوم ١٠ / كانون الثاني / ١٩٤٣ نيرانها بسد ناري على المواضع الالمانية في حصن ستالينغراد تمهيداً لهجوم الروس عليه وبعد ذلك بساعتين شرع مشاتهم بالصولة على اجنحته الشمالية والغربية والجنوبية ، وكانت هذه هي اللحظة التي تهييها المدافعون الذين ينقصهم العتاد منذ زمن بعيد فنشب قتال شديد طول النهار استبسل فيه المدافعون ببطولة ودمروا الكثير من الدبابات الروسية وواقعوا خسائر جسيمة بقطعات الصولة الروسية ، كما كانت خسائرتنا فادحة ايضاً وقد اخبرنا الجيش السادس لاسلكياً في مساء ذلك اليوم باختراق الروس لمواضعنا في الشمال والغرب والجنوب دون ان

يمكن الجيش السادس من سد الثغرات الحاصلة كما اضطر للتخلي عن اجزاء واسعة في الجبهة الدفاعية بتحويل من مقر الجيش السادس او بدون ذلك وشد الخناق على الجيب باستمرار خلال الايام القليلة التالية واخذت الرقعة التي يشغلها الالمان تضيق شيئاً فشيئاً وازدادت الاهوال التي تكابدها القطعات كثيراً ، وبلغ الجيب في ١٦/ كانون الثاني/ ١٩٤٣ حوالي الخمسة عشر ميلاً طولاً في اطول نقطة فيه وحوالي التسعة أميال في اعرض نقطة فيه ، أي انه اصبح نصف ما كان عليه طولاً وعرضاً قبل بدء الصولة الروسية وكانت اخطر خسارة هي ضياع مطار بيتومنيك PITOMNIK الذي كان يمون عن طريقه حصن ستالينغراد قبلاً . وقد تلاشى الان حتى تفاؤل هتلر المزعوم فتحدثت البلاغات الرسمية للقيادة الالمانية العليا لأول مرة وبايعاز من هتلر عن خطورة الموقف المتطور الان فبينما نوه البلاغ الرسمي ليوم ١٠/ كانون الثاني عن قيام دوريات القتال باعمال علية فقط جاء في البلاغ الرسمي ليوم ١٦/ كانون الثاني وصف لمعركة دفاعية ضد قوات العدو الهاجمة من جميع الجهات ، ومع ذلك لم يزل هتلر يرفض منح بولس حرية العمل التي طلبها له قائد جحفل الجيش مراراً والتي لم انفك في طلبها عند محادثاتي معه ايضاً وكان جوابه تردده على وتيرة واحدة لقوله المأثور « ان استمرار صمود الجيش السادس في كل يوم هو بحد ذاته معارنه كبيرة لباقي الجهة الشرقية وان الجيش السادس يثبت قوات روسية قوية ويكبدها خسائر فادحة » غير ان المأساة في ستالينغراد كانت تقترب من نهايتها ويعني كل يوم جديد للجندي العادي المقاتل ان هناك جرعة جديدة من الجوع والعوز والحرمان ومصاعب من كل نوع وبرد قارس ووحدة نفسية وبأس وخوف من الموت انهاداً او جوعاً وخوف من الجروح التي لاتجر معالجتها في مثل تلك الظروف ، ولم يكن هناك خيار للجندي مهما كان طبعه شجاعاً او يائساً او غير مبال او اياً كانت مشاعره سوى

الاستمرار على القتال دون راحة او توقف مدركا ان الظروف القاسية التي يعيشها
الان انما تزداد هولاً ان ظل على قيد الحياة والحالة التي يمر بها ماهي الا
كابوس رهيب بدون نهاية ، وكانت ظروف الضباط الاحداث وذوي الرتب المتوسطة
مشابهة لظروف قطعاتهم بالاضافة الى عبء المسؤولية الملقاة على عاتقهم عن حياة جنودهم
المودعين امانة باعنائهم وعجزهم عن معاوتهم ولعلمهم بعدم جدوى محاولة تنفيذ
الوامر التي تلقوها بقطعات جائعة وبعناد غير كاف وكل ذلك ففي النهاية ليس
الا المصير المحتوم ، اما ظروف القادة الاقدمين وضباط ركنهم فكانت في الظاهر
احسن نوعاً ما في بعض الاحيان الا ان اعباءهم كانت اكثر في تحمل ضغط
مسؤولية اعلم وانهم لم يستطيعوا التثبت بالاوهم لما يتعلق بالوضع اليأس
برمته وكانوا قد ادركوا عاجلاً او اجلاً وحسب رتبهم وطبائعهم خطل الوامر
التي تلقوها من هتلر وطبيعة الوعود المضللة التي قطعها لهم وكانت النهاية المرة
، تنتظر هؤلاء الضباط وجنودهم حقيقة حساية ثابتة وكان كل امر يستلموه
شير عندهم نزاع عاطفي ، هل ينفذوه ام لا ؟ وانه كان عليهم تبليغ الوامر
التي يعتبرونها هم انفسهم غير صحيحة ومع ذلك كان عليهم التظاهر بالشجاعة
والثقة امام مرؤوسيه .

انقطع تموين القطعات المقاتلة بصورة كلية تقريباً واصبح الجنود يفتقرون
الى الطعام والعتاد والوقود والتجهيزات على اختلاف انواعها وكان مايفقد يذهب
هائياً ولا يعوض مطلقاً وازدادت النواقص على مر الايام ، وقد رمت عدة
احداث من المدفعية آخر قنابلها ثم دمرت مدافعها واحرق سواق العجلات
بجلاهم عند نفاذ وقودها وذابت تشكيلات بكاملها وكان الجيش السادس قد
سبح هسيماً اتت عليه النار وحولته رماداً ، فلا ماوى للجرحى ولا فراش لهم
طعام او دواء او ضماد ، وكان الاطباء والجراحون بدون الات العمل

اللازم ، واستمر الحال على هذا المنوال يوماً بعد يوم كما ازداد الموقف
سوءاً باستمرار فترى الى متى يمكن استمرار هذه المعركة ؟

انقسم الجيب بين ١٦/ كانون الثاني و ٢٤/ منه الى شطرين لا اتصال بينهما
الا لاسلكياً فقط وضاعت اخر اراضي النزول الطاريء للطائرات واقلعت في
٢٣/ كانون الثاني او ٢٤/ منه آخر طائرة من الجيب باتجاه الغرب وبذلك اصبح
ما تبقى من الجيش السادس منقطعاً كلياً عن العالم الخارجي منذ ذلك التاريخ
وليس من الصعب تصور ما كان يعنى ذلك بالنسبة للقطعات المحاصرة فضع
كل امل لها ودب اليأس المخيف فيها .

لقد القيت مواد التموين في الجيب المقسوم بكميات قليلة سقط معظمها في
خطوط العدو ، والذي سقط في المناطق الصغيرة التي لازال يشغلها الالمان فقد
تعذر العثور عليها احياناً في اكوام الثلج الكثيفة :

وفي ٢٤/ كانون الثاني ١٩٤٣ حضر مبعوثوا الروس ثانية وقد توقعوا وقد يكونوا
في الواقع قد افترضوا ان يستسلم الالمان الان فقرر الجنرال بولس ان يطلب تارة
اخرى من هتلر السماح له بالاستسلام بشروط وقام بذلك بنفس اليوم لاسلكياً
وشرح له بوضوح سبب تدهور الموقف الان وتعذر الدفاع عنه واخبره بعدم
امكان تأمين القيادة المركزية فالجبهة مهشمة وعلامات الانحلال باديحة في كل
مكان والقطعات ينقصها الزاد والعتاد كما لا تتيسر الضمادات ولا الادوية
للجرحى وانهى حديثه بقوله ان اي مقاومة اخرى هي بدون جدوى وبات انهيار
القطعات التي بأمرته امراً محتوماً وطلب من هتلر تخويله صلاحية الاستسلام
فوراً لانقاذ الارواح الباقية على الاقل ، وايدنا هذا الطلب انا والمارشال مانشتاين
هو كتابة وانا شفهيأ وكان ذلك في الواقع تكرر لطلبنا الذي عرضناه عليه خلال
الاسبوعين الماضيين الا ان هتلر ظل على عناده ولم نستطع انا وقائد جحفل الجيش

زحزحته قيد انملة ولم تؤثر فيه الحقائق الناصعة الواردة في تقرير بولس اطلاقاً كما لم يحرك فيه ساكناً عدد الموتى والجرحى ، ولا حالة تموين الارزاق والعتاد كذلك لم يؤثر الوصف المؤثر من قبل شاهدي العيان للسعير الملتهب بالقرب من ستالينغراد والذي كان يزداد فضاة كل يوم بل ظل بارداً ولم يقتنع او يدل وجهة نظره واخذ يردد ببساطة قوله « ان المقاومة التي يبديها الجيش السادس في كل يوم تؤدي الى فواتر عظيمة لباقي الجبهة الشرقية ، وارسل جوابه لطلب الجنرال بولس بدون تأخير يمنع فيه الاستسلام ويأمر الجيش السادس بالاستمرار بالقتال لآخر اطلاقه واخر نفس وعلى ذلك رفض بولس العرض الروسي الثاني للهدنة ، وارسل هتلر بعد ذلك بقليل رسالة ثانية الى الجيش السادس نمقها بعبارات رنانة عن الدفاع البطولي وانقاذ العالم الغربي ، وهذا كل ما كان خارج جحيم الجيب بينما استمرت رحى الحرب تدور .

- النهاية -

وسع الروس جبهة تعرضهم الشتائي في شمالي وغربي جيب ستالينغراد وهوجم الجيش الهنغاري يسار الايطاليين ودحر ، والى الشمال لاقى الجيش الثاني الالماني نفس المصير ايضاً ، اما في الجنوب فبقى الموقف حرجاً مع بصيص من الامل بانسحاب قواتنا من القوقاز في الوقت المناسب ، ورغم اجراء هذه الحركة في اللحظة الاخيرة الممكنة الا انها كانت ناجحة تماماً بررت قرار الانسحاب كلياً وبذلك اصبحت الفرق التي تم تحريرها جاهزة للعمل في مكان اخر .
لم يكن المقر الاعلى لهتلر قلقاً عن مجريات الحوادث في الجبهة الشرقية فحسب بل وعما يجري في افريقيا ايضاً اذ احتل البريطانيون طرابلس واحاق جيش رومل خطر عظيم .

القى مارشال الرايخ غورنك عدداً من الخطب في هذا الوقت تكلم فيها عن
المعركة البطولية المحترمة بالقرب من الفولغا ، وهو لا يبدو مدركاً بأنه كان بعد
هتلر الشخص الرئيسي الملام على مأساة ستالينغراد ويظهر انه نسي وعده الخطير
بإدامة تموين الجيش السادس جواً كما اخذ غورنك في هذا الوقت يحتفل بعيد
ميلاده على طريقته المعهودة في البذخ والتبذير بينما كنا انا وضباط ركني قد
انقصنا ارزاقنا الى مستوى ما كان يصرف الى قطعات بولس وذلك مساهمة صغيرة
ابداء شعور الاخوة مع تلك القطعات ، اما الشعب الالماني الذي غمره جو من
التوتر المرير المتزايد فقد اصبح الان عالماً بالكارثة الداهمة في الشرق وقد هياته
تقارير القيادة العليا بعناية لتقبل الاخبار السيئة القادمة ، اما وسائل الدعاية
الرسمية فقد حاولت اخفاء مدى وطبيعة الكارثة تحت اوصاف المعركة البطولية
الي كان يخوضها الجيش السادس .

وكانت النهاية تقترب من الجيب بسرعة وبدون هوادة وقد رفض احد قادة
الفرق اطاعة اوامر رئيسه مستهدفاً بذلك انقاذ حفنة من الرجال الباقين بامرته
فاستسلم للروس على انفراد كما هربت وحيدة رومانية لجانب العدو بكاملها
وبكافة اسلحتها ومعداتها ، واخذ الضباط الاقدمون الذين لم يستطيعوا الصمود
لزخم الضروف اكثر مما تحملوا اما الانتحار او الوقوف في خط الجبهة
والاستمرار بالرمي على الروس المتقدمين حتى اصابتهم رصاصات العدو وانتهت
الامهم كما طلب بعض الضباط الاحداث وجنودهم السماح من رؤسائهم بمحاولة
اختراق خطوط الروس والوصول الى جبهة الالمان الرئيسية وسار كثيرون على
هذا الدرب الخطير وقد استطاع في اذار ١٩٤٣ احد العرفاء الوصول بغيره الى
الخطوط الالمانية في ستالينغراد بعد ان لاقى اشد المشاق بضعة اسابيع ولكنه
لم يعيش طويلاً نتيجة ملاقاه من الحرمان والعذاب ، كذلك مات الكثيرون في

الجيب جوعاً وبرداً .

أخذ الجيب المقسوم يتقلص تدريجياً وانقسم احد نصفيه الى قسمين فاصبح الجيب في الواقع ثلاثة اقسام من القطعات الالمانية المحاصرة ، فالقسم الشمالي منه بقيادة الفيلق الحادي عشر والقسم المركزي منه بقيادة الفيلق المدرع الواحد والخمسين والقسم الجنوبي منه بقيادة الجنرال بولس نفسه ، وهذا ما عقد امر الدفاع وجعله اكثر صعوبة من قبل بطبيعة الحال وسهل مهمة الروس المهاجمين وعجل النهاية المحتممة ، وقد رفع الجنرال بولس تقريراً عن كل ذلك في ٢٨/كانون الثاني وبين فيه توقع مقر الجيش السادس بوقوع الانهيار النهائي في ١/شباط .

اما هتلر فلا زال حتى الان يرفض بشدة الاصغاء الي او الى المارشال فون مانشتاين طلبنا الاخير منح الجنرال بولس حرية العمل ولكنه بدلا من ذلك ارسل الي الجيش السادس رسالة لاسلكية مطولة محشوة بالعبارات الرنانة مشيداً بالكفاح البطولي والولوج بصفحات التاريخ الخالدة وقد منح العديد من الاوسمة والترفيعات الى القطعات الجائعة والمتجمدة والمحتضرة وتوقع ان يكون ذلك حافزاً لها للاستمرار على القتال ورفع الجنرال بولس الى رتبة مارشال مكان هذا جل ما قدمه هتلر لمعركة ستالينغراد في ساعتها الاخيرة .

وقد نوه للشعب الالمانى عن دنو النهاية فاشاريان القيادة العليا الرسمي في ٢٧/كانون الثاني /١٩٤٣ الى « تلك العناصر من الجيش السادس التي لازالت قادرة على القتال » وقد ادرك حتى المدنيين الذين لا المام لهم بالشئون العسكرية ما تعنيه هذه العبارات ولكن القائمين على الدعاية الرسميين تمادوا بناء على التعليمات التي استلموها على التشديد على النواحي البطولية فقط للمعركة الخاسرة وقاد غورزك - ملة الدعاية وارسل رسائل خاصة بالراديو الى الجيش السادس الذي كان جنوده على علم تام بانه هو الذي خيب آمالهم فزادهم ذلك حنقاً عليه ، وفي

خطاب له في ٣٠/كانون الثاني/١٩٤٣ تكلم عن اعظم معركة بطولية في تاريخ
العصر الالمانى كله وقارن جنود ستالينغراد باولئك الابطال من الاغريق الذين
قاتلوا الى اخر جندي في (فيرموبولي) ولكنه اما كان يدرك بانه بمقارنته هذه تكلم
عن رجال الجيش السادس وكأنهم اموات فعلا؟ وسمع كلماته العديد من
القطعات واولوها بهذا المال وعلموا ان الرجل الذي تفوه بذلك هو نفس
الرجل الذي قال بصفته القائد العام للقوة الجوية الالمانية بإمكان تموين الجيش
السادس جواً وهو نفسه الذي اقسم بانه سيعمل على تأمين ذلك .

وسارت الايام الاخيرة في ستالينغراد على مثل ماتوقعه المارشال بولس في
تقريره ليوم ٢٨/كانون الثاني ، فقد ارسل المارشال بولس في ٣١/كانون الثاني
رسالة لاسلكية الى القيادة العليا للجيش ذكر فيها توقع وقوع الانهيار النهائي
خلال الاربعة وعشرين ساعة المقبلة ، وقد تم في اليوم نفسه استسلام الجيب
المركزي ووقع كافة الضباط والمراتب اسرى كما استسلم في الصباح الباكر من يوم
٢/شباط الجيب الشمالي وفي حوالي العصر من اليوم نفسه استسلم الجيب الجنوبي
ايضاً واعلن كل جيب عن دنو نهايته لاسلكياً وهاتفياً تعش المانيا .

- الخاتمة -

لقد ادى جنود الجيش السادس واجبه حتى النهاية رغم خطل الاوامر
التي تلقوها ورغم علم كثيرين منهم ان لم نقل جلهم مدى عدم صوابها ولقد كانت
معركتهم مريعة حقاً وكانوا ضعفاء من الجوع ونصف متجمدين ويائسين ومن
دون عتاد او ارزاق تقريباً ومع ذلك فقد سببوا للقادة الروس وقطعاتهم
مصاعب جمّة وكبدوهم خسائر فادحة وتمكنوا من الصمود امام قوات العدو
الفائقة بدرجة كبيرة في العدة والسلاح والعدد من ١٠/كانون الثاني حتى ٢/شباط

اي لاكثر من ثلاثة اسابيع كامله وهو عمل جليل مؤثر كثيراً بحد ذاته بالنسبة
للارهاق البدني والنفسي والاحوال الجوية القاسية التي قاتلوا فيها ويجب ان تتم
منجزاتهم بضعفين او حتى ثلاثة اضعاف وتعجز الكلمات عن وصف الاخلاص
للواجب الذي تحلى به هؤلاء الرجال ولسوف تخلد ذكرى هذه الحقيقة في السنين
المقبلة حالما تخف شدة التعصب وسيخلد التاريخ هؤلاء الجنود الذين لم يفكروا
بغير واجبهم فأنجزوه حتى النهاية ، ويجب ان لا يتأثر حكمنا على هؤلاء الجنود
عن الحقيقة بأن هذه المعركة كان يجب عدم القيام بها منذ البداية ابدأ ، وبأن
العالم قد ادان الرجل الذي اصدر اوامره باجرائها رغم معارضة كبار مستشاريه
العسكريين . ولنرى الان كيف كان رد فعل هتلر بالنسبة للكارثة ، فعندما علم
هتلر ان قد انتهى كل شيء ثارت نائرتة وغضب على المارشال بولس المرفع حديثاً
الذي فضل الاسر على الموت وقال « انه لم يتوقع ذلك منه ولو كان قد توقعه
لمارفعه » وكان هذا هو رد فعله الوحيد او على الاقل ما اظهره فقط للضباط
المحيطين به وانه لم يبد ندمه على سابق عناده او انه شعر باللائمة على نفسه لما
حدث كما انه لازال متشبهاً بنفس المجادلات التي وضعها كخطوط رسمية للدعاية
وذلك بضرورة تضحية الجيش السادس ليتسنى تشكيل جبهة جديدة ، وبأن سوء
الاحوال الجوية اي بسبب الظروف الخارجة عن سيطرته قد حالت دون قيام
القوة الجوية بادامة تموين الجيش ، ورغم ان هتلر كان يمتاز بقوة ذاكرة ملحوظة
الا انه قد نسي في الوقت المناسب بانى سبق وان حذرته من مغبة الجو السيء
المتوقع معتمداً على تجربتي الخاصة في الجبهة في الشتاء السابق .

لم يعترف هتلر ولو لمرة واحدة بانه هو الشخص الملام او انه من المحتمل
ان يكون قد قدر الموقف تقديراً خاطئاً فهو عندما تستمع اليه يبدو على حق دائماً
وفي مختلف الظروف ، واذا ما فشلت خطته فانه يعزى ذلك دائماً الى عوامل

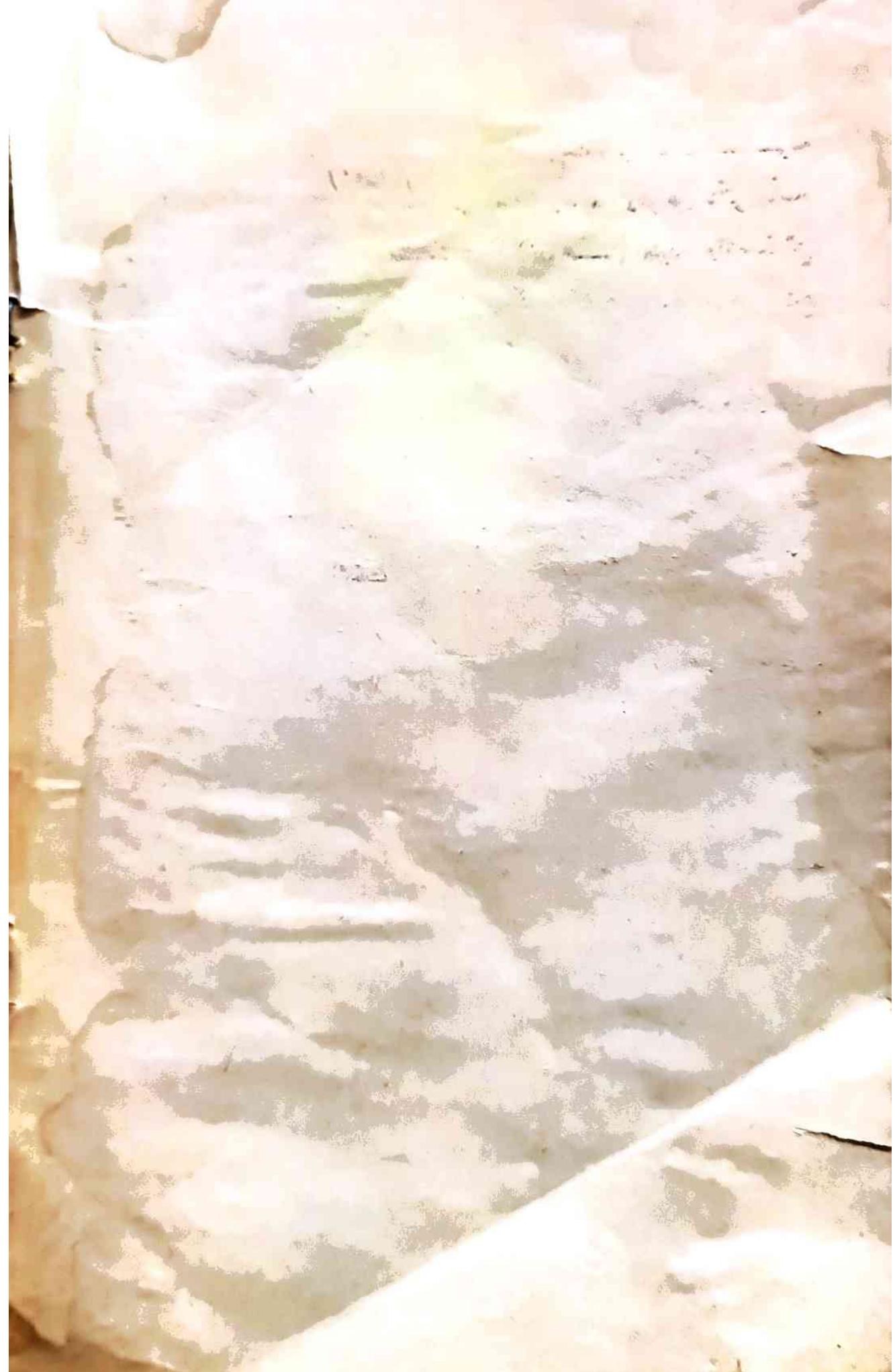
غير متوقعة ولم يحسب حسابها او بسبب عدم كفاءة اولئك الذين انيطت اليهم مسئولية تنفيذ الاوامر التي وقعها او اشد سوءاً من ذلك ، وقد بدا وهو غير متأثر بمأساة ستالينغراد الدموية والالام القاسية لمئات الآلاف من جنوده والتعلة التي فرضت على عوائلهم المغمورة وبدا وقد نفى كل ذلك عن نفسه وشرع بوضع الخطط بحماس للمستقبل وقال :

« سوف نخلق الجيش السادس من جديد » وكان هذا هو حله ولكن رغم امكان تسمية وحدات جديدة بالجيش السادس الا انه لا يمكن اعادة خلق الجيش السادس ثانية فانه قد مات في ستالينغراد ومات معه الجزء الكبير من قوة الجيش الالماني الى حد ذلك الوقت بقائده الاعلى وتعبير اصح قد قتل هتلر تلك الثقة بعناده نفسه .

وقد قلت لهتلر في تشرين الثاني / ١٩٤٢ اذا ما فقد ربع مليون جندي في ستالينغراد فان ذلك سيحطم العمود الفقري لكافة الجبهة الشرقية وقد برهنت الاحداث صحة ما قلت ، اذ كانت معركة ستالينغراد نقطة تحول بالثبة للحرب كلها .

كانت تلك النهاية راحة باردة حقاً بالنسبة الى مأساة ستالينغراد ، وقد كافحت شهور طويلة لكي يرى هتلر الطريق السوي ويصح قراراته ولكن فشلت ولذلك اتخذت قراراً يتعلق بمنصب كرئيس لاركان الجيش وذهبت لهتلر وطلبت منه قبول استقالتي ولكنه غضب ورفض ذلك واجابني بخشونة « لا يحق لاي جنرال التخلي عن منصبه » .





تصحیحات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٧	٤	تقى	تف	٢٢	١٥	النساؤل	التساؤل
٩	١٤	يكفى	يكف	٢٢	١٥	التالى	الثانى
١٢	١١	توجه	توجيه	٢٢	١٨	تخالف	مخالفاً
١٢	١٧	يستطع	يستطيع	٢٣	٣	باحتباط	باحتياط
١٢	١	العايا	العليا	٢٤	٩	سرف	سوف
١٣	٦	سحابة	سحابه	٢٨	١١	سصمدون	سيصمدون
١٣	٧	الخضوص	الخصوص	٣١	١٢	غلبا	غالبأ
١٣	١٥	هم	همم	٣٢	٢	ستالينغر	ستالينغراد
١٣	١٧	نهمكه	منهكه	٣٢	١٧	قازره	قادر
١٥	٢٠	الضروف	الظروف	٣٣	١٩	جى	هى
١٦	١٣	للموف	للموقف	٣٤	٢	الميادين	لميادين
١٧	١٠	يقابلها	يقابلها	٣٧	١٩	ودت	وجدت
١٧	١٢	القوة	القوة	٣٨	١٤	ممدأ	عمدأ
١٨	١	بالاندحار	بالاندحاية	٤٠	٩	وعدما	وعندما
١٩	١	الجهة	الجهة	٤٢	٤	بتيجة	تسجة
١٩	٢	كافى	كاف	٤٢	٤٣	البوم	اليوم
١٩	٥	صبح	اصبح	٤٢	١٦	الروس	الروسي
٢١	٤	دليل	دلبلأ	٤٣	٣	مبالات	مبالاة
٢١	٧	بجحفل	لجحفل	٤٧	٢١	حقبه	حقيقة

يجرى	جرى	١٩	٦١
الظروف	الضروف	٦	٦٤
بأسي	بأس	٥	٦٩
البداية	الاية	١٢	٦٩
الحجر	الحجز	١٣	٦٩
اليه	اله	٦	٦٩
الملاحظات	اللحظات	٣	٧٠
الجبهة	الجبهة	١٦	٧١
اللازمة	اللازم	١	٧٣
عليه	عليها	١١	٧٣
القيادة	القادة	١٦	٧٣
بابدء	ابداء	٧	٧٥
القيادة	التنادة	٩	٧٥
الظروف	الضروف	١٦	٧٥
فكان	مكان	١٤	١٦
تاريخ	تاخيخ	١	٧٧
متجمدين	مجميدين	١٨	٧٧
الظروف	الضروف	١٦	٧٨
شهوراً	شهور	١٦	٧٩

للغضب	الغضب	٤	٤٩
مارشالي	مارشال	١٣	٤٩
رأبي	رأبي	١٨	٥٠
ضابط	ضباط	١٥	٥١
ضروف	ظروف	٣	٥٢
ذك	ذلك	١٦	٥٢
تولى	تعطى	٢٠	٥٢
اطمئنان	اطمئنان	٣	٥٣
الضروف	الظروف	٣	٥٥
الضروف	الظروف	١٢	٥٥
صدرها	اصدرها	٢	٥٦
الضروف	الظروف	١٧	٥٦
مدد	عدد	٢٠	٥٦
القادة	القيادة	١٤	٥٧
الضروف	الظروف	٣	٥٨
«يشكوفاً	«ميشكوفاً»	١٦	٥٨
ينجر	ينجزه	٤	٥٩
فتفسدت	فتنفتت	١٢	٦٠
حالي	حال	١٦	٦٠

الفهرست

الموضوع	الصفحة
كلمة المترجم	٧
اهداف هتلر	٩
الحركات الاولى	١١
ازمة القيادة العليا	١٢
الموقف في الجبهة الشرقية	١٤
تقرير عن الموقف	١٦
الاستحضارات الالمانية	٢١
تقدير نوايا الروس	٢٦
قبل الهجوم	٢٧
بدء التعرض الروسي	٣٠
خطة هتلر ويودل	٣٣
تدهور الموقف	٣٨
التقاء ذراعى الكماشة الروسية	٤٢
حصن ستالينغراد	٤٤
هل كان ينبغي ان يقاتل الجيش السادس لفك تطويقه	٤٦
فترة انتظار هجوم مانشتاين	٥٤
الهجوم لانقاذ الجيش السادس	٥٨
الفرصة الاخيرة	٦٠
الموقف في اواخر كانون الاول	٦٣
الروس يطلبون استسلام ستالينغراد	٦٦
الصولة الروسية	٧٠
النهاية	٧٤
الخاتمة	٧٧

م
٢٠٢
٢٠٢

٥٩	١٢	٦٠
١٦	٦٠	٦٠